الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٤ العدد ٦١٤ ربيع الأول ١٤٣٩هـ - ديسمبر ٢٠١٧م

ملف خاص

كيف نحمي شباب الأقليات المسلمة في الغرب من التطرف؟

جنيف

تحتضن ندوة دور الأديان في تعزيز السلام العالمي

ماكرون: الإسلام لا يُبنى بالدمار ومن يروج لذلك فهو "كاذب"

مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

سلام بعض المجتمعات هو سلام كل المجتمعات

ثمة أفكار في عصرنا الحاضر ذهبت إلى تمجيد القوة، وقررت أن الحرب هي أصل الحياة الإنسانية، وأن على البشر، وعلى الدول كذلك، أن تصرف طاقاتها للاستعداد لها، وإلا حطمتها قوى الشر. وزعم أصحاب هذه الأفكار أن من يأمل بصدق في السلام لهو العاجز الذي لا طاقة له على الحرب، أو الواهم الذي لا يعيش إلا في عالم الأحلام.

ولحسن الحظ فإن قادة الفكر البشري ـ حتى في الإطار العلماني ـ ليسوا سواءً في تحبيذ الحروب وتمجيدها، فمنهم نفرٌ صالح دعا إلى السلام والوئام، ومنهم من مضى شوطًا لآخر فوضع مشاريع فلسفية متكاملة لبسط السلام على نطاق العالم أجمع، وأعطوا العالم أملاً في إمكان تحقيق السلام.

وقد عصم الله تعالى من اتبع دينه بحق من تلك الأفكار العدوانية،بل إن الأديان قد منحت أملاً للإنسانية في السلم والاستقرار، وأن ذلك الأمل ليس أضغاث أحلام ولا سراب بقيعة. إن وجود هذا الأمل في الحس والخاطر والواقع البشري يعد تطورًا إيجابيًا، ينبغي التعويل عليه في عصر عمت فيه المدنية، وساد سلطان العقل، وذاعت الدعوة إلى احترام وصون حقوق الإنسان، فهذه عوامل من شأنها أن تجعل هذا الحلم حقيقة ماثلة.

وجاءت الفرصة المتجددة لإحياء معاني السلام والوئام في ملتقى (دور أتباع الأديان في تعزيز السلام والوئام) في جنيف، برعاية رابطة العالم الإسلامي، ومشاركة جمعٍ من كبار المفكرين والكتاب والدبلوماسيين والمهتمين بالتواصل الحضاري بين الثقافات والأديان.

الحضور كان نوعياً ومتنوعاً، وحظي الملتقى بتقدير المشاركين الذين ثمَّنوا الدور المهم والمؤثر لرابطة العالم الإسلامي والأفقِ الحضاري الذي تنتهجه والمعاني المهمةِ التي أوضحتها عن المفاهيم الحقيقية للإسلام.

حفلت كلمة الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في الجلسة الافتتاحية بإيضاح حقيقة الإسلام ومحاربة الأفكار المتطرفة والإرهابية، وتعزيز الوعي الديني والفكري لدى الأقليات الإسلامية والتواصل مع الجميع لنشر قيم الاعتدال والتسامح والسلام، وركزت الكلمة الضافية على وجوب النظر لعالمنا بمزيد من التفاؤل والأمل مع بذل الجهود المشتركة لتعزيز فطرة الخير والمحبة والسلام لدى بني الإنسان وتفهُّمِ سنة الله في الاختلاف والتنوع والتعدد بين البشر.

وحثَّ معالي الأمين العام أتباع الديانات والثقافات على مقاومة الأطروحات الإقصائية والنظريات الكارهة مثل الإسلاموفوبيا التي تُعتبر حالياً المقاوم الأول لجهود محاربة التطرف، كما تُمثل عائقاً قوياً للاندماج الإيجابي للأقليات المسلمة، ملقياً باللائمة فيها على رهانات المصالح الذاتية لبعض المنافسات السياسية.

وجاءت كلمات المشاركين تعضد مبدأ التسامح بين الأديان، وتشدد على السلام والتعايش والبعد عن القوة أو الإكراه، مع دعم وتعزيز ثقافة الاحترام لجميع الأديان وحمايتها وأن تزرع هذه الثقافة في الأجيال لينشؤوا على الحب والسلام.

وأفاضوا بالحديث عن التزام الجميع بالسعي إلى السلام في هذا العالم المضطرب، لا سيما في فترة حرجة تشهد الكثير من الانقسام ومن الاستقطاب بين الشعوب وبين الأمم في عدة أماكن، وقد انحرف البعض بالأديان نفسها التي نزلت بالسلام والوئام، لتصبح عامل انقسام، وإساءة إلى بعض الأبرياء بسبب هويتهم الدينية.

واختتم الملتقى أعماله بالدعوة إلى رفع شعار عالمي جديد بعنوان «سلام بعض المجتمعات هو سلام كل المجتمعات»، وذلك اعتماداً على أن العالم قد أصبح مترابطًا بشكل يمتد فيه فساد الجزء إلى من حوله ومن بَعُدَ عنه، محذراً من أن التهاون في تطبيق قيم العدالة والحرية والتسامح والسلام بين مختلف الديانات والثقافات، سيصنع نواة محتملة لفكرة متطرفة أو جريمة إرهابية، وأن عدم الانتصار للمظلومين سيكون له عواقب وخيمة.

وطالب الملتقى في توصياته بتكثيف اللقاءات الإسلامية مع علماء الأديان الأخرى لدراسة المسائل والإشكالات العالقة، وتشكيل مفاهيم مشتركة حولها، والتحرر من مؤثرات الصراع التاريخي بين أتباعها وذلك بهدف نشر ثقافة السلام والتفاهم، ورفض الترويج لثقافة العنف والكراهية والإقصاء، وعدم تسميم الفضاء الإعلامي بما يؤجج الصراعات الدينية والطائفية والفكرية.

وشدد المشاركون على أهمية التعاون والتنسيق بين مؤسسات الأديان الكبرى في العالم للتواصل مع صناع القرار السياسي والثقافي والاجتماعي لتمكين القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية العليا والمشتركة.

وأكدوا ضرورة الاعتراف بإمكانية التعايش واللقاء بين الأديان والثقافات المختلفة رغماً عن عمق الاختلاف، وعدم السماح باستغلال أي فجوات وتفجيرها عبر الخلافات الشكلية، والعمل مع الفعاليات السياسية والاجتماعية والحقوقية لاحترام الخصوصيات الدينية أو الثقافية للأقلية والأكثرية، ودعوة هذه الفعاليات للإسهام في نهضة بلدانها، وأن تكون نموذجاً للمواطنة الحقة، متمثلة بحسن التعامل والتعايش والتسامح.

ودعوا إلى أن تكون هذه الفعاليات مصدر إشعاع حضاري وعلمي في بلدانها، ومطالبتها بالنأي عن دعوات التطرف والكراهية والاستفزاز والانفصال، ومد يد العون والمساعدة إلى اللاجئين والمشردين وضحايا الحروب والصراعات، والإسهام في تخفيف معاناتهم واحتوائهم إيجابياً حتى يتجاوزوا محنتهم بسلام دون أن تتخطفهم الانحرافات الفكرية والجماعات الإرهابية.

وشكر الملتقى جهود الرابطة في توعية الأقليات الإسلامية وتعزيز برامج اندماجها الإيجابي في مجتمعاتها ومد جسور التواصل الحضاري مع الجميع.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المشرف العام على الإعلام

أ. عادل بن زامل الحربي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ – ردمد: ١٦٩٥-١٦٥٨

«جنيف» تحتضن ندوة دور الأديان في تعزيز السلام العالمي 4

مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف:كيف استقبلته الأوساط العلمية؟ 14

21 في حوار مع أمينها العام: هيئة الإغاثة وجهودها الإنسانية عبر العالم

المحتويات

"جنيف" تحتضن ندوة دور الأديان في تعزيز السلام العالمي.....٤

مفتي تنزانيا وسفير خادم الحرمين يثنيان على الإسهامات الإنسانية للرابطة.....٨

الرابطة تتلقى استنكار الهيئات الإسلامية وغير الإسلامية لممارسات إيران بالمنطقة.....٩

تألق وريادة على خطى المؤسس الأول.....١٠

الهيئة العالمية للكتاب والسنة تحتفل بالمتعاونين معها في خدمة القرآن الكريم.....١٣

مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف: كيف استقبلته الأوساط العلمية؟.....١٤

نص الأمر الملكي بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين.....١٥

حسن شحبر: هيئة الإغاثة وجهودها الإنسانية عبر العالم.....٢١

المحتويات

العدد: ٦١٤
ربيع الأول ١٤٣٩ هـ - ديسمبر ٢٠١٧ م

30
كيف نحمي شباب الأقليات المسلمة في الغرب من التطرف؟

46
حقائق صادمة في قضية مسلمي بورما

شرق وغرب ٢٨
وسائل ذكية لمعالجة التطرف والعنف لدى الشباب ٣٨
تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب ٤٤
حقائق صادمة في قضية مسلمي بورما ٤٦
المسلمون في المجتمعات الغربية ٥٠
قصيدة الموريسكي إلى بايزيد العثماني "فصل من المأساة" ٥٣
ساعة وساعة ٥٩
هل أدركنا بالفعل وظيفة الفرد الرسالي؟ ٦٠
قضايا في فلسفة وعلم الأخلاق ٦٢
مدار ٦٤

الرابطة مؤيدة بيان وزراء الخارجية العرب:

إيران ترفع شعار الموت والدمار لكل من يقف أمام مشروعها الطائفي

مكة المكرمة - خاص

أيدت رابطة العالم الإسلامي البيان الصادر عن الاجتماع الوزاري لوزراء الخارجية العرب في جامعة الدول العربية بخصوص التدخل الإيراني في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، مؤكدةً أن ما يقوم به محور الشر الإيراني من أعمال إرهابية من خلال نشر مجموعاته في دول تَدَخُّلِه باتت تهدد دول المنطقة بأسرها في سلسلة من الجرائم التخريبية ونشر الفتن الطائفية.

ودعت الرابطة جامعة الدول العربية إلى مواصلة موقفها الحازم بمخاطبة الأمم المتحدة للتدخل السريع بفرض عقوبات رادعة على النظام الإيراني الذي انتهك الاتفاقات والمعاهدات والأعراف الدولية التي تنص على احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها.

وبينت الرابطة أن محور الشر الإيراني بجرائمه العدائية تجاه المنطقة من خلال دعمه لوكلاء طائفيته مليشيا الحوثي وما يُسمى انتحالاً بحزب الله، وبخاصة تزويدهم بالصواريخ الباليستية، يكشف للعالم وجه إيران الحقيقي المتمثل في التمادي بنشر الإرهاب المنظم، موضحةً أن إيران أصبحت مصدر قلق دولي مدفوعةً بأيديولوجيا متطرفةٍ كارهةٍ، ترفع شعار الموت والدمار لكل من يقف أمام مشروعها الطائفي.

وأكدت الرابطة في ختام بيانها أن العالم أصبح أمام أدلة العبث الإيراني وانتهاكاته الصارخة في كافة مناطق تدخله، وأنه لا بد من إيقاف مده الإرهابي الذي سخر له كافة أساليبه الإجرامية.

«جنيف» تحتضن ندوة دور الأديان في تعزيز السلام العالمي

العيسى: الإسلاموفوبيا تعترض جهود محاربة التطرف وتعيق برامج الاندماج الإيجابي في دول الأقليات

العيسى يلقي كلمته في الجلسة الافتتاحية.

جنيف:

ضمن الحضور الدولي لرابطة العالم الإسلامي في منصات التأثير العالمية، ولاسيما المحطات الغربية حيث تتصاعد من حين لآخر حملاتُ الإسلاموفوبيا الناشئةُ في عمومها عن معلوماتٍ آحادية أو مُجتزأة.. في هذه السياقات المهمة أطلقت الرابطة في عاصمة المنظمات الدولية والتاريخ الأُمَمي جنيف السويسرية ملتقى «دور أتباع الأديان في تعزيز السلام والوئام» بحضور معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، وجمعٍ من كبار المفكرين والكتاب والدبلوماسيين والمهتمين بالتواصل الحضاري بين الثقافات والأديان، ولاسيما القياداتُ الدينيةُ بتنوعها، حيث أكد الملتقى الذي حظي بتغطية إعلاميةٍ واسعة على تقدير الحضور المهم والمؤثر لرابطة العالم الإسلامي والأفقِ الحضاري الذي تنتهجه والمعاني المهمةِ التي أوضحتها عن المفاهيم الحقيقة للإسلام، فيما أوضح معالي الدكتور محمد العيسى في كلمته الافتتاحية

أن رابطة العالم الإسلامي بوصفها مظلةً للشعوب الإسلامية؛ تهتم بإيضاح حقيقة الإسلام ومحاربة الأفكار المتطرفة والإرهابية، وتعزيز الوعي الديني والفكري لدى الأقليات الإسلامية والتواصل مع الجميع لنشر قيم الاعتدال والتسامح والسلام.. مؤكداً على وجوب النظر لعالمنا بمزيد من التفاؤل والأمل مع بذل الجهود المشتركة لتعزيز فطرة الخير والمحبة والسلام لدى بني الإنسان وتفهُّم سنة الله في الاختلاف والتنوع والتعدد بين البشر، مشيراً إلى أن المملكة العربية السعودية أصبحت منصة عالمية لمحاربة الأفكار المتطرفة والإرهابية.

وتابع الشيخ العيسى أنه يجب ملاحقة التطرف في الفضاء الإلكتروني الذي شكل له المنصة الوحيدة للتأثير والاستقطاب، مضيفاً بأنه على أتباع الديانات والثقافات مقاومة الأطروحات الإقصائية وكذلك النظريات الكارهة مثل الإسلاموفوبيا التي تُعتبر حالياً المقاوم الأول لجهود محاربة التطرف، كما تمثل عائقاً قوياً للاندماج الإيجابي للأقليات المسلمة ملقياً باللائمة فيها على رهانات المصالح الذاتية لبعض المنافسات السياسية بعيداً عن استطلاع الحقائق، وبعيداً عن تقدير الأبعاد وأحياناً غياب الضمير عندما يعلم عن الحقيقة ثم لايلتفت إليها لحسابات خاصة أو نزعة كراهية لذات الكراهية، كما أن اللائمة أيضاً تلحق في هذا على مزايدات الإثارات والاستفزازات الإعلامية، منبهاً د.العيسى إلى أن «هذه التحديات لن تؤثر على جهودنا جميعاً في محاربة التطرف والإرهاب ولن تزيدنا إلا عزماً وتصميماً وعملاً مستمراً حتى نهزمه بكافة أشكاله، وأن الأفكار المتطرفة خدمها العالم الافتراضي حتى اخترقت الحدود دون تأشيرات دخول ولاتراخيص عمل»، وبرهن للحضور بالأمثلة أن المتطرفين ضعفاء الحُجّة وأنه لا قدرة لهم على مواجهة الحقائق وأنهم لايعملون إلا في منطقة الفراغ ولايوظّفون «لاسيما في الآونة الأخيرة» إلا العاطفة الدينية المجردة عن الوعي الديني والفكري، وأن رهانهم الأخير وأملهم الوحيد بعد تلاشي كثير من أفكارهم عند المواجهات القوية معها هو إثارة العواطف الدينية على إثر حملات الإسلاموفوبيا ضد الإسلام كدين وليس ضد المتطرفين فقط الذين حاربوا الاعتدال الإسلامي قبل غيره وأن هذا الخطأ الفادح خدم التطرف والإرهاب كثيراً، مؤكداً أن نسبة التطرف في الدين لا تتجاوز النسمة الواحدة من أصل مائتي ألف نسمة والعدد في تراجع لأقل من ذلك بفعل جهود محاربة التطرف وسعينا جميعا لتجاوز التحديات بعون الله.

بدوره قال الأسقف إيفان جيركوفيش المندوب الدائم لبابا الفاتيكان في كلمته في الندوة التي شهدت تنوعاً كبيراً في الحضور إن الطريق الصحيح للوصول إلى السلام الحقيقي

• يجب ملاحقة التطرف في الفضاء الإلكتروني.. وعلى أتباع الديانات مقاومة أطروحات الكراهية والإقصاء

هو انطلاقه من مبدأ التسامح بين الأديان، مشدداً على أن السلام والتسامح لا بد أن يكونا بعيدين عن القوة أو الإكراه، ويجب دعم وتعزيز ثقافة الاحترام لجميع الأديان وحمايتها وأن تزرع هذه الثقافة في الأجيال لينشؤوا على الحب والسلام.

بعدها بدأت جلسات الندوة حيث تحدث القس الدكتور أولاف توايت في الجلسة الأولى عن محور العائلة الإبراهيمية وإرساء قيم التعايش السلمي. وبدأ القس حديثه بشكر الرابطة على تنظيم الندوة مؤكداً أهمية أن يلتزم الجميع بالسعي إلى السلام في هذا العالم، لا سيما في هذه الفترة الحرجة لأوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا.

وزاد أن هناك الكثير من الانقسام ومن الاستقطاب بين الشعوب وبين الأمم وفي عدة أماكن، وقد أصبحت العقيدة

• لن تزيدنا التحديات إلا عزيمة وإصراراً حتى نهزم التطرف والإرهاب.. ونعزز الوعي الديني والفكري.. والاندماج الإيجابي للأقليات

للأسف عامل انقسام وهذا ظاهر في كثير من دول العالم، كما وقد أسيء إلى بعض الأبرياء بسبب هويتهم الدينية مما قد يؤدي إلى إضفاء الشرعية على العنف، لافتاً إلى أن هذا كله يلحق ضرراً بالأجيال الشابة ويحد من طموحاتها. وأكد القس توايت أن أفراد العائلة الإبراهيمية يؤمنون بإله واحد

رابين ديڤيد تي المندوب الرابيني لكشروت يشارك في ندوة الرابطة في جنيف.

ريڤيرا ديمنكي رئيس المركز البوذي والجالية البوذية في جنيف مشاركاً في احدى الجلسات.

الذي خلق الإنسانية لكي يعيشوا معا، قائلاً: «نحن هنا اليوم لكي نشاطر هذه الأفكار ونبدي التزامنا لنبين معا ما يعنيه معتقدنا في الواقع العملي».

بعدها تحدثت الدكتورة فوزية عشماوي الأستاذة بجامعة جنيف عن محور العائلة الإبراهيمية وإرساء قيم التعايش السلمي، قائلة إن اليهود والمسيحيين والمسلمين يأتون من نفس الجذع ومن نفس الأب المؤسس وهو إبراهيم عليه السلام، وهذا ما يؤمن به أتباع الديانات الثلاث؛ أما المسيحيون واليهود فإن الإسلام يعترف بأنهم أهل الكتاب ويعترف بكتابيهما التوراة والإنجيل على أنهما من الكتب المقدسة ويعترف بسيدنا موسى وسيدنا عيسى كأنبياء لهم مكانة متميزة في القرآن، حيث يتم تسميتهم في القرآن بأولي العزم، ويعترف بسيدنا عيسى عليه السلام على أنها كلمة الله وروحه وأمه مريم تم تبجيلها وتكريمها على أنها مريم العذراء البتول.

وأكدت عشماوي أهمية البحث عن القواسم المشتركة بين الأديان الثلاثة وإبراز أسس الحوار بين الأديان للعيش في سلام؛ وأن النقطة المشتركة الأولى بين الأديان الثلاثة هي أن الكتب المقدسة الثلاثة لها عناصر مشتركة وهي المواضع المتعلقة بالأخرويات كالبعث والحساب وعلامات الساعة والقيامة والجنة والنار.

وأشارت إلى أهمية أن يقيم أتباع هذه الديانات الثلاث حوارا مثمرا وليس حسب التفسيرات الخاطئة والصور المشوهة والقوالب النمطية والصور المبتذلة الموروثة عن الماضي، مضيفة أن هناك في الوقت الراهن مبادرة مفيدة تهدف إلى إيجاد منصة مشتركة بين الديانات التوحيدية الثلاث، وهي مبادرة «كلمة سواء» المتمثلة في خطاب موحد يجمع أتباع الديانات الثلاث، وكذلك مبادرة مدريد حول تحالف الحضارات والمبادرات التقدمية لملوك المملكة العربية السعودية بما في ذلك مبادرة رابطة العالم الإسلامي لتعزيز الحوار الديني والعيش معا للتغلب على التحديات وجميع الأيديولوجيات السلبية السائدة والتي تعرقل الحوار بين شعوب العالم.

وشددت على أن تضافر الجهود لتعزيز الحوار ما بين الثقافات والأديان خلال الاضطرابات الاجتماعية والثقافية التي عاشها العالم يوجب على الجميع توحيد جهودهم لإحياء التعددية الدينية من خلال احترام جميع الأديان والثقافات لتعزيز السلام العالمي القائم على احترام حقوق الإنسان الأساسية والعالمية للعيش بسلام.

فيما تحدث في الجلسة الثانية الأستاذ ميشال قران جون عن محور الأديان في مواجهة التطرف والإرهاب، قائلاً إن على كل طرف معاملة الآخرين بنفس الطريقة التي يرغب هو بأن يُعامَل بها، كما يجب أيضاً إدانة العنف بكافة أشكاله وأنواعه ومسمياته، واستشهد ميشال بأطروحات الكاتب الإيطالي كاستيليوني الذي يعتبر من ضمن المؤسسين لسلام الأديان و يناهض الإرهاب ويرفض الإكراه الديني الذي يؤدي إلى تأجيج التطرف والإرهاب، وكذلك إثارة النزاعات والفتن. وندد ميشال بأفعال الجماعات التي تقوم بممارسة العنف ضد المسلمين في ميانمار.

وختم ميشال مشاركته بالاستشهاد بقول كاستيليون «يجب علينا ترك حرية الاعتقاد للآخرين حتى نفسح المجال أمام تعزيز السلام العالمي».

بعدها تحدث الأستاذ فرانك هانش في محور الأديان في

إيفان جيركوفيش المندوب الدائم لبابا الفاتيكان في جنيف يلقي كلمته في الندوة.

الاستاذة في جامعة برلين الدكتورة آنا كنونستونس شرودر تشارك في الندوة الدولية.

مواجهة التطرف والإرهاب، قائلاً إن هناك تركيزا على قضية العقلانية، وتحليلاً دائماً للتمييز بين ما ينتمي إلى العاطفة وإلى الحنين وما له علاقة بالحقيقة، لذا يجب الفصل بين الأشياء المختلفة وما بين الرسائل المقدسة والرسالة العالمية والتكهنات.

وأكد أهمية عدم إكراه وإجبار الآخرين على اعتناق معتقد ديني، مشيراً إلى أن ذلك يشكل مسألة خطيرة لأن الله لو أراد ذلك لجعل جميع الناس لهم ديانة واحدة لكن يجب علينا الاعتراف بالتعددية الدينية وحرية المعتقد الديني لأن الإنسان هو الذي يقوم بتعزيز هذا الموقف في إطار موقف فكري محدد.

وأشار هانش إلى أن كل إنسان له جانب روحي وقدسي ولكل إنسان القدرة على إخراج هذه الطاقات الدينية التي تكمن داخله من خلال الجانب النفسي، ومراقبة الذات والضغط على النفس ومن خلال التركيز، وهذا هو الهدف الذي ترمي إليه الأديان فالكنائس والمعابد ما هي إلا أماكن تهدف إلى التركيز والتخلق والتسامي والتعايش بسلام.

وكان الملتقى قد اختتم أعماله بالدعوة إلى رفع شعار عالمي جديد بعنوان «سلام بعض المجتمعات هو سلام كل المجتمعات»، وذلك اعتماداً على أن العالم قد أصبح مترابطا بشكل يمتد فيه فساد الجزء إلى من حوله ومن بَعُدَ عنه، محذراً من أن التهاون في تطبيق قيم العدالة والحرية والتسامح والسلام بين مختلف الديانات والثقافات، سيصنع نواة محتملة لفكرة متطرفة أو جريمة إرهابية، وأن عدم الانتصار للمظلومين ستكون له عواقب وخيمة.

وطالب الملتقى في توصياته بتكثيف اللقاءات الإسلامية مع علماء الأديان الأخرى لدراسة المسائل والإشكالات العالقة، وتشكيل مفاهيم مشتركة حولها، والتحرر من مؤثرات الصراع التاريخي بين أتباعها وذلك بهدف نشر ثقافة السلام والتفاهم، ورفض الترويج لثقافة العنف والكراهية والإقصاء، وعدم تسميم الفضاء الإعلامي بما يؤجج الصراعات الدينية والطائفية والفكرية.

وشدد المشاركون على أهمية التعاون والتنسيق بين مؤسسات الأديان الكبرى في العالم للتواصل مع صناع القرار السياسي والثقافي والاجتماعي لتمكين القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية العليا والمشتركة.

وأكدوا ضرورة الاعتراف بإمكانية التعايش واللقاء بين الأديان والثقافات المختلفة رغماً عن عمق الاختلاف، وعدم السماح باستغلال أي فجوات وتفجيرها عبر الخلافات الشكلية، والعمل مع الفعاليات السياسية والاجتماعية والحقوقية لاحترام الخصوصيات الدينية أو الثقافية للأقلية والأكثرية، ودعوة هذه الفعاليات للإسهام في نهضة بلدانها، وأن تكون نموذجاً للمواطنة الحقة، متمثلة بحسن التعامل والتعايش والتسامح، وأن تكون مصدر إشعاع حضاري وعلمي في بلدانها، ومطالبتها بالنأي عن دعوات التطرف والكراهية والاستفزاز والانفصال ومد يد العون والمساعدة إلى اللاجئين والمشردين وضحايا الحروب والصراعات، والإسهام في تخفيف معاناتهم واحتوائهم إيجابيا حتى يتجاوزوا محنتهم بسلام دون أن تتخطفهم الانحرافات الفكرية والجماعات الإرهابية، وشكر الملتقى جهود الرابطة في توعية الأقليات الإسلامية وتعزيز برامج اندماجها الإيجابي في مجتمعاتها ومد جسور التواصل الحضاري مع الجميع.

فريق «مخيم الإغاثة» أجرى ٤٠ عملية قسطرة قلب للمحتاجين في دار السلام

مفتي تنزانيا وسفير خادم الحرمين يثنيان على الإسهامات الإنسانية للرابطة

سماحه مفتي جمهورية تنزانيا يكرم رئيس الفريق الطبي د. على المسعود.

سماحة المفتي وسعادة السفير والفريق الطبي بعد حفل التكريم

الرياض:

أثنى سماحة مفتي جمهورية تنزانيا الاتحادية الشيخ أبو بكر زبيري، على الدور الذي تقوم به رابطة العالم الإسلامي ودعمها للعمل الخيري والإنساني في بلاده، والذي أثمر عن إجراء ما يزيد عن ٤٠ عملية قسطرة قلب للمرضى الفقراء غير القادرين على تحمل كلفة العلاج في تنزانيا.

وقال المفتي زبيري، إن إقامة المخيم الطبي لبرنامج قسطرة القلب الذي نفذته الرابطة ممثلة في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالتنسيق مع معهد «جاكايا كياويتي للقلب»، بالعاصمة التنزانية دار السلام في الفترة من ١٤ إلى ١٩ نوفمبر ٢٠١٧، لا يستغرب من الرابطة وهي تجدد دعواتها للتسامح والمحبة والسلام، وتطرح رؤيتها الجديدة للوسطية والاعتدال من خلال دعمها للعمل الخيري والإنساني في مختلف دول العالم.

من جانبه، أثنى سفير خادم الحرمين الشريفين بتنزانيا الأستاذ محمد بن منصور المالك، على الدور الذي تقوم به رابطة العالم الإسلامي، وجهود أمينها العام معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى لإيضاح صورة الإسلام الحقيقية؛ من خلال أعمالها الإنسانية عبر هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لخدمة المجتمعات الفقيرة حول العالم.

وأضاف السفير المالك، أنه يتشرف بتكريم الفريق التطوعي السعودي برئاسة د. علي المسعود، استشاري القلب والشرايين ومساعديه، داعيًا الله أن يكلل جهود الرابطة والهيئة لكل ما ينفع الشعب التنزاني.

من جهة أخرى، عبَّرت د. دوروثي جاوقاما ممثلة معالي وزيرة الصحة التنزانية أومي علي معليمو عن تقدير الوزارة للرابطة للتعاون المثمر والتنسيق المحترف لتنظيم هذا البرنامج الطبي.

وكان السفير المالك قد أقام حفل تكريم للفريق الطبي المشرف على برنامج قسطرة القلب في ختام البرنامج الذي نفذته الهيئة بالتنسيق مع معهد (جاكايا كياويتي للقلب) بالعاصمة التنزانية دار السلام، وقد حضر الحفلَ عددٌ من كبار المسؤولين عن العمل الاجتماعي والصحي في تنزانيا، على رأسهم سماحة مفتي تنزانيا الشيخ أبو بكر زبيري.

رابطة العالم الإسلامي تتلقى استنكار الهيئات الإسلامية وغير الإسلامية لممارسات إيران بالمنطقة

جددت تأييدها لإجراءات التحالف العربي بقيادة السعودية في مواجهة المد الإجرامي

مكة المكرمة:

تلقت رابطة العالم الإسلامي تنديد واستنكار عدد من الهيئات والمنظمات والمؤسسات والمجامع الإسلامية وغير الإسلامية حول العالم، وذلك في إطار تواصل فعالياتها مع الرابطة بمختلف تنوعها الديني والفكري والسياسي والحقوقي، حيث شجبت الممارسات الإيرانية العبثية في المنطقة، وخصوصاً ما كان منها عبر وكلاء طائفيتها في اليمن ولبنان.

وأشارت الرابطة، في بيان صدر عنها، إلى أنها باسمها كمظلة للشعوب الإسلامية بموجب نظامها الأساس، وباسم الهيئات والمنظمات والمؤسسات والمجامع والفعاليات المشار إليها، تُدين بشدة الأعمال الإجرامية التي يمارسها النظام الإيراني ووكلاءُ طائفيتِهِ في المنطقة، مؤكدةً مجدداً تأييدها التام للإجراءات التي اتخذتها دول التحالف العربي، بقيادة المملكة العربية السعودية، لمواجهة هذا المدّ الإجرامي الدخيل على سِلْم المنطقة واستقرارها، حيث لبت نداء الشرعية لإنقاذ الشعب اليمني ودعمِهِ للتصدي لميليشيا العمالة الحوثية، ومُشْعِلَةِ الحرب اليمنيةِ بَعْدَ فتنةِ انقلابِها المشؤوم.

وتابع بيانُ الرابطة أن المحاولاتِ اليائسةَ لاستهداف المملكة العربية السعودية من قبل ميليشيا العمالة الطائفية، بإطلاق الصواريخ العشوائية التي يتم اعتراضُها وإبطالُ كيدِها الواهي في حينه، تُترجم مستوى اليأس والبؤس الذي انتحل الدينَ عبرَ بوابةِ النسج والافتراء، لتقع خُرافةُ دَجَلِهِ أسيرةَ تَخَلُّفٍ فكري، واستدعاءٍ تاريخي مضطرب، يزداد في تراجعِه وانتكاستِهِ كلما تقدم العقلُ البشري في وعيه وتَحَرُّره، وهو ما كَبَّدَ مِحْوَرَ الشر الإيراني من حين لآخر عواقبَ وخيمة، ومع ذلك لا يزال مسلوبَ الرُّشد متمادياً في غيه، بمعزل تام عن عالم الوعي والتحضر، وقد أحال كلَّ موطئ قدم عبثت فيه مطامِعُ هَوَسِهِ الطائفي إلى حالة يُرثى لها من الفقر والمرض، والبؤس والفوضى، وكان مشهدُه الأخير في اليمن، حيث صاغ عَمِيْلَهُ على مقاس ومحتوى فكره البائد، ودَعَمَهُ ليعيث في أرض اليمن فساداً، ويُدَنّسَها تخلفاً وطائفيةً، ويُدمِّرَ إرثَها التاريخي والحضاري، محاولاً طمسَ هويةِ وحضارةِ وتاريخِ اليمن السعيدِ بأمنِهِ وإيمانِهِ، وتعايُشِهِ وتسامُحِهِ، بمدِّ يدِهِ الباغية التي نهبت الآثار، ودمرت عدداً من المعالم الحضارية والمعرفية، وسعت لتمزيق النسيج الاجتماعي، مستهدفةً الوئامَ الوطني المعروفَ عن الإنسان اليمنيّ، حيث الشهادة النبوية الكريمة له بالإيمان وسلامةِ الوجدان.

وأوضح البيان أن من أسوأ الكوارث التي عملت عليها آلة الإجرام الانقلابية حجبُ التعليم عن أكثر من أربعة ملايين ونصف المليون طفل، حيث استخدمت ميليشياتُها مواردَ اليمن لخدمة مجهودها الحربي، فيما أوقفت صرفَ المرتباتِ في مناطقِ سيطرتِها، لتجعل منها بيئةً مواتية للاستقطاب الطائفي، والزجِّ بها في الجبهات العسكرية، إلى أن طالبت تلك الميليشيا بإغلاق المدارس وإرسال الطلبة إلى جبهات القتال، وجعل الشعب اليمني رهينةً يتم بها ممارسة الضغط المكشوف، فيما تمادى الأمر إلى فظائع إنسانية تجاه أطفال اليمن، حيث زجت ميليشيا الانقلاب بعدد منهم في جبهات القتال، حاجبة عن بقيتهم المساعداتِ الإنسانيةَ، عندما قامت بإعاقة جهود الإغاثة، بل والاعتداءِ عليها، مسجلةً بين عامي ٢٠١٥ و٢٠١٧، وبالوثائق الماثلة أمام الجميع، مصادرة ٦٥ سفينة و١٢٤ قافلة إغاثية و٦٢٨ شاحنة و٥٥٠٠ سلة غذائية و٦ آلاف سلعة أساسية، ولا تزال عملياتُ سلبِها مستمرة.

كما قامت أيضاً في الفترة نفسها باعتداءات على منظمات تابعة للأمم المتحدة، وغيرها من المنظمات والهيئات الإغاثية في مدن صنعاء وتعز وحَجَّة والحُدَيدة وإبْ وعدن، حيث مارست همجيتها من خلال عمليات القتل والخطف وإغلاق المنافذ والمكاتب الإغاثية ونهبها.

وختم البيان: «جاء ذلك امتداداً لأعمالها الإجرامية ضد الشعب اليمني منذ أن خطفت شرعيتَهُ بعمالتها الطائفية المستأجرة من قبل محور الشر الإيراني الذي أخذ على نفسه منذ تأسس كيانُه الكاره والمشؤوم تصديرَ ثورته الحاقدة بمطامعها التوسعية والتخريبية كثابتٍ من ثوابت دستوره الذي دفع الشعبُ الإيراني قبل غيره ثمنَ همجيته، ويبلغُ الانحطاطُ الإنساني دركاتِ وحشيتِهِ عندما يكونُ الأطفال ضحيةَ التوظيف الإجرامي على حساب تلك الجراح والمآسي».

تألق وريادة على خطى المؤسس الأول

أ. د. أحمد محمود عيساوي

جمهورية الجزائر

عيني وقلبي وروحي وضميري وكل خلية من خلاياي الحية مشدودة على ما يحدث في المملكة العربية السعودية اليوم من خطوات تاريخية وحضارية قرنية عملاقة، والتي ستقرر وسترسم -بلا شك- حاضر ومستقبل ومصير شبه الجزيرة العربية كلها ودول مجلس التعاون الخليجي، بل وستقرر من ورائها وستحدد وستوجه موقع ومكانة ومصير ودور العالمين العربي والإسلامي في قرن العولمة والغلبة، قرن القوى الاقتصادية والتكنولوجية والإلكترونية المهيمنة. وهي - برأيي- قرارات ومعالم تنموية ونهضوية وحضارية غير مسبوقة في تاريخ المملكة منذ نشأتها وتأسيسها قبل ثلاثة قرون ١٧٤٥م ـ ١١٥٧هـ ـ ١٤٣٩-٢٠١٧م على يد أميرها (محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن فرحان بن إبراهيم الذهلي الشيباني) مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١١٥-١٢٠٦هـ ١٧٠٣-١٧٩٢م، ومنذ إعادة بعثها وإحيائها كدولة حديثة قبل قرن مضى ١٩١٧م، حينما انطلق المغفور له الملك (عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ت ١٩٥٣م) يُرسي دعائم الدولة السعودية الحديثة بعزيمة فولاذية وبشجاعة نادرة منذ قرون في تاريخ العرب والمسلمين، موحدا وجامعا ومؤلفا عرى شتات القبائل العربية المتناحرة.

مبررات المحبة:

وإذا كان نصيبي من الحب والاحترام والحمية لبلدي وموطني الجزائر، الذي ولدت وترعرعت ونشأت وتربيت وتعلمت وكبرت فيه، نصيبا واحدا، فإن حبي واحترامي وحميتي وحدبي وشوقي على شبه الجزيرة العربية عمومًا وعلى المملكة العربية السعودية خاصة يفوقه بثلاثة أنصبة مضاعفة، وذلك لأنها معدني وأصلي الأول الذي انحدرتْ منه القبائل العربية التي استوطنت الشمال الإفريقي منذ الفتح الإسلامي الأول ومع هجرات القبائل الهلالية في مطالع القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ولأنها بلد من بلاد العرب والمسلمين نحبه ونتمنى له الخير كما نحب بلدنا الجزائر ونتمنى له الخير والطمأنينة والسلام والرخاء. وفوق كل هذا وذاك فإنها مهبط الوحي ومعدن الرسالات وعلى أرضها الطاهرة جرت وقائع وحوادث تاريخ الإسلام، هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده واختار له تلك الديار لتكون معالم البناء الحضاري للعالم دون سواها من أرضه وعباده التي براها... وهي بلد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

نحبها - إذن- ونخاف عليها لأنها هي البلاد التي تاب الله فيها على أبينا آدم عليه السلام، ولقي فيها أمنا حواء وتعارفا فيها بعد أن طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، فهي نداء الفطرة الأول الصادح فينا، والذي ناداه أبونا آدم عليه السلام حين دعا ربه: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» (الأعراف: ١٧٢، ١٧٣).

نحبها ونخاف عليها أكثر من أنفسنا، لأنها هي دعوة

أبينا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أصلاب أبنائه إلى يوم الناس هذا، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، حينما أسكن ذريته بواد غير ذي زرع عند بيته المحرم، ودعا ربه لتلك الذرية بالخير قائلا: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (البقرة: ١٢٩).

نحبها ونتمنى لها الخير والطمأنينة والرخاء والسلام والريادة وزعامة وقيادة العرب والمسلمين، لأنها هي صلب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم للمسلمين جميعا حينما ابتهل لربه في غزوة أحد ألا يعذبهم فقال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الأنفال: ٣٣).

لكل هذا وذاك فنحن ملايين العرب والمسلمين الأوفياء الصادقين، بل المليار ونصف المليار من العرب والمسلمين ومن مختلف الأمم والشعوب، ومن كل فئات المجتمع صفوف مرصوصة، وجنود متآلفون ومجندون للذّب عن تلك الديار بكل غالٍ ورخيص، أمام سيول الكيد والتآمر المذهبي والفِرَقي والتعصبي الداخلي والخارجي. لأننا ندرك ونستجيب تلقائيًا لنداء الفطرة الحي في ضمائرنا المسلمة، ولا نحتاج لغير نداء الفطرة الساكن في أعماقنا المؤمنة.

دلالات التحول:

إن النداءات النهضوية والتنموية الشاملة التي ينادي بها سمو الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود لها الكثير من الدلالات، والكثير من القراءات، فحيثما وجهت زاوية اهتمامك ورؤيتك ونظرك وتصورك، إلاّ ورأيتها تُشع بدلالات الخير والنهضة والتجديد.

إنها بالقراءة الاقتصادية والمالية تعني الريادة والتفوق في عالم المال والأعمال والإنتاج والاكتفاء والتعاون العربي الإسلامي الداخلي، والانفتاح على القوى الاقتصادية العالمية المتفوقة ودعوتها للانخراط في المشروع النهضوي الاقتصادي، الذي سيعود على الأمة المسلمة بالرخاء والنماء.

وبالقراءة الفكرية والعلمية والمعرفية تعني فك الإسار الذي رهن العقل المسلم وحجره لقرون طويلة، وأصابه بالعطالة والركود عن اللحاق بالركب العلمي والمعرفي والفكري العالمي، الذي بلغ مستويات غير قابلة للحاق به، إلاّ بتحريره ووضعه في مساره الطبيعي والشرعي الذي خلقه الله من أجله، وبذل في سبيل التعريف بمكانته وقدره أكثر من ألف وسبعمائة آية قرآنية من لدنه سبحانه وتعالى.

وبالقراءة الحضارية تعني رفع القيود والأغلال التي يرسف فيها الفرد والمجتمع المسلم بتبعيته لعالم الأموات والراحلين، فالخشية كل الخشية على الفرد والأمة والعقل والروح والضمير الارتهان بفهومات واجتهادات الأقدمين، فعدا الوحيين المقدسين (الكتاب والسنة)، وعدا ما تركه وقدمه (جيل الخيرية والأفضلية من القرون الهجرية الأربعة الأولى)، باقي التراث وكل ما جاء من بعدهم يجب أن يُستأنس ويُسترشد ويُهتدى به فقط بعد الغربلة والتنقية والسبك الحضاري، وعلى سبيل تحريك العقل المسلم ليمارس النشاط الذهني في التعامل مع الوحي والتراث الأفضل من القرون الهجرية الأربعة الأولى، كما مارسه وتفاعل معه في القرون الهجرية الأولى، وما لحقها من تفاعلاتها واجتهادات جيل المحققين والمدققين من خيرة علماء الأمة.

وبالقراءة الاجتماعية فهذا يعني إعادة نصف المجتمع المُعطل ليمارس مهامه الشرعية والحضارية التي ناطه الله بها، كما قامت به أمهات المؤمنين وسائر الصحابيات والتابعيات والمجاهدات والفاضلات إلى يوم الناس هذا. فالمجتمع الذي يُعطل نصف قوته وطاقته هو مجتمع محكوم عليه بالتخلف والتأخر، ومهما أوتي من طاقة وقوة وثروة فلن يستطيع الفكاك من إسار التخلف، فقد كانت الصحابيات الجليلات وأمهات المؤمنين يتدخلن في أدق شؤون الجماعة المسلمة، فهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تتدخل في صلح الحديبية ويفتح الله على يديها بالنصح والإرشاد فيقتدي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يخبرها قائلا: (لقد عصاني المسلمون) فتقول له: «اخرج يا رسول وتحلل واذبح هديك وسيتبعك المسلمون»، فيخرج ويصنع ويتبعه المسلمون... وكذلك صنيع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأم سليم حرام بنت ملحان، وغيرهن الكثير. فالمجتمع لا ينهض بالرجل فقط، بل له ساقان يسير بهما، ومن عطل إحدى ساقيه بقي في مكانه.

وكلما عددنا القراءة وزاوية التحليل والنظر، اكتشفنا

الكثير مما له علاقة وطيدة برفعة ونهضة الأمة المسلمة، فبالقراءة الشاملة، تتعدد الثمار والنتائج المفيدة.

استعادة بوصلة الوعي:

وأحب في صلب هذه القراءة المتواضعة لتطلعات وآفاق مستقبل مشروع القرن ٢٠٣٠م التي صدح بها سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود حماه الله وأيده، أن أقف عند محطة تاريخية حضارية لم يتفطن إليها الكثير من الكتاب والباحثين حول مشروع تكوين الدولة السعودية في طورها الثالث على عهد المغفور له الراحل (عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود) سنة ١٩٢٥م، إلى أن الخطوات التاريخية والشجاعة والعملاقة التي قام بها الجد المؤسس سنوات ١٩١٧-١٩٢٥م لتأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة، هي - برأيي- خطوات حضارية رائدة منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة وبالضبط منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥هـ الذي قال لقاتليه يومها: «.. والله بقتلي لن تقوم لكم قائمة بعد اليوم»، وبالفعل فقد انتقلت عاصمة الخلافة في عهد الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الكوفة سنة ٣٦هـ ٤٠هـ، وفي عهد ابنه الحسن رضي الله عنه إلى الكوفة سنة ٤١هـ، ونقلها الأمويون سنة ٤١هـ إلى دمشق وظلت عاصمة الخلافة إلى سنة ١٣٢هـ، ونقلها العباسيون إلى الكوفة سنة ١٣٢هـ إلى سنة ١٤٨هـ ثم إلى بغداد من سنة ١٤٨هـ إلى سنة ٦٥٦هـ، فيما كانت عاصمة الفاطميين العبيدين والأيوبيين والمماليك القاهرة إلى سنة ١٥١٧م ٩٢٣هـ، وظلت بلاد الحجاز وشبه الجزيرة العربية من سنة ٣٦هـ إلى سنة ١٣٣٧هـ على هامش الحياة السياسية والحضارية مهملة ومُغيبة عن صنع محورية التاريخ الإسلامي، إلى غاية إعلان قيام المملكة العربية السعودية على يد المؤسس الراحل، الذي أعاد لها مركزيتها ومحوريتها في قيادة العرب والمسلمين ١٣٣٧هـ/ ١٩٢٥م.

وثمة نقطة استراتيجية ومحورية أخرى في حقيقة إصلاحات ومشروع القرن المستقبلي ٢٠٣٠م لسمو ولي العهد لم يتفطن إليها الكثير من الاستراتيجيين، ومفادها أن عمر الدول واستمرارها وبقاءها مرهون بتجديد المشاريع الحضارية فيها كل عقد أو عقدين من الزمن، فهذه الولايات المتحدة الأمريكية -على سبيل المثال، وكغيرها من الدول الناهضة ألمانيا فرنسا بريطانيا، تُحرك قواها الداخلية عبر تحفيز مواطن القوة فيها بصناعة حدث مهم كل عقد من الزمن، فها هي تشارك في الحرب العالمية الأولى وتُعدل كفة الحلفاء على دول المحور، وينزل رئيسها ويلسون بمبادئه الأربعة عشر. وفي سنة ١٩٢٩م تحدث الأزمة المالية العالمية، وفي سنة ١٩٤٢م تستدرج اليابانيين للاعتداء على كبريائها في ميناء (بير هاربر)، وفي سنة ١٩٥٢م تُشعل الحرب في شبه الجزيرة الكورية، وفي سنة ١٩٦٢م تناوش الروس حول الصواريخ في كوبا، وفي سنة ١٩٧٢م تشهد أحداث (ووتر غيت)، وفي سنة ١٩٨٢م تتعرض سفارتها وكبرياؤها وجنودها لتفجير مقر السفارة ببيروت، وفي سنة ١٩٨٩م تفكك جدار برلين والاتحاد السوفيتي داخليا وتقوض النظام الشيوعي، وفي سنة ٢٠٠١م نشاهد انفجار مبنى التجارة العالمي وتبعاته وتداعياته، وفي سنة ٢٠٠٩م الأزمة المالية العالمية، وهكذا الأحداث في كل عقد... بهدف استنفار الكريات البيضاء في الدم الأمريكي للدفاع عن قيم الحضارة الأمريكية، وإلاّ بحسب قراءة صقور الأمن القومي ستتعرض الحضارة الأمريكية إلى الترهل والتفكك ومن ثمة الانهيار البطيء.

فمشروع ٢٠٣٠م هو صمام أمان لتحريك همة وطموح قوى الخير في المملكة العربية السعودية. إنها نهضة تقود خلفها كل قوة النهوض في العالمين العربي والإسلامي، وهي عملية تجديد الدماء في الجسد العربي والإسلامي المنهك.

ولا غرابة أن تكون صرخة ولي العهد القرنية سنة ٢٠١٧م/ ١٤٣٨هـ متزامنة مع حركة جده المؤسس الراحل سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩٢٥م، التي ستجدد دماء المملكة، وستبث في عروقها الحياة، وستسري فيها النضارة والشباب، وهي حاجة طبيعية وضرورة حياتية لقوة واستمرارية الدولة السعودية الحديثة والمعاصرة، التي يجب أن تلقى من إخوانها العرب والمسلمين كل تفهم وعطف واحترام وتأييد ودعم، فنجاح المشروع هو نجاح لكل العرب والمسلمين في قرن القوى الاقتصادية العالمية المهيمنة، فهل من مدكر؟

الهيئة العالمية للكتاب والسنة تحتفل بالمتعاونين معها في خدمة القرآن الكريم

احتفلت الهيئة العالمية للقرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي مساء الثلاثاء ١٨ صفر بفندق الدار البيضاء في مدينة جدة بتكريم المتعاونين معها في خدمة القرآن الكريم، بحضور الأمين العام للهيئة العالمية فضيلة الدكتور عبد الله بصفر وسعادة السفير الأستاذ جمال بكر بالخيور مدير فرع وزارة الخارجية بمنطقة مكة المكرمة والأستاذ سامي جميل مدير المراسم في وزارة الخارجية بمنطقة مكة المكرمة، وحضر الحفل عدد من قيادات وموظفي الدوائر الحكومية والأجهزة الإعلامية وأئمة المساجد والتربويين ومنسوبي الهيئة العالمية.

بدأ الحفل بتلاوة من الذكر الحكيم تلاها الطالب إسماعيل كونهي من تحفيظ الشعيبي، ثم ألقى فضيلة الدكتور عبدالله بصفر الأمين العام للهيئة كلمة استهلها بالشكر والحمد لله سبحانه وتعالى على نعمة القرآن، وقال إن من فضل الله أن وفقنا لخدمة كتابه الكريم، وفي هذا العام يسر لنا خدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، مشيراً لانضمام هيئة الإعجاز العلمي وهيئة نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم لتصبح الهيئة العالمية للقرآن والسنة، ثم رحب بجميع الحاضرين وشكرهم على تعاونهم مع الهيئة العالمية، وأبان أن ما وصلت إليه الهيئة من إنجازات خلال السنوات الماضية يرجع الفضل فيه بعد الله سبحانه وتعالى، إلى الدعم المعنوي والمادي من ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية، معرباً عن شكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، ولسمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز (حفظهما الله) على دعمهما المتواصل للهيئة، وشكر فضيلته الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى لتوجيهه ومتابعته لأنشطة الهيئة، وشكر فضيلته الخيرين والمحسنين والمتعاونين والمتطوعين مع الهيئة على ما بذلوه من جهد مقدر في خدمة القرآن الكريم، وأثنى على جهود العاملين في الهيئة وإخلاصهم في خدمة كتاب الله عز وجل، وتنفيذهم لأجندة الهيئة ثم تطرق فضيلته إلى إنجازات الهيئة العالمية خلال السنوات الماضية مبيناً أن أنشطة الهيئة شملت الكثير من

دول العالم، عقب ذلك شاهد الجميع عرضاً مرئياً لفيلم نور عيني من إنتاج قناة أهل القرآن، بعده ألقى فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله غيلان كلمة نيابة عن المتعاونين مع الهيئة أشاد فيها بجهود الهيئة العالمية في خدمة القرآن الكريم ممثلة في فضيلة الدكتور عبدالله بصفر الأمين العام للهيئة، وتطرق في كلمته لبعض النماذج التي خرجتها الهيئة العالمية من معاهدها القرآنية المنتشرة في العالم، وأثنى على اهتمام الهيئة وتقديرها للمتعاونين معها، وفي الختام قدمت شهادات التقدير والهدايا للمتعاونين.

مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف:

كيف استقبلته الأوساط العلمية؟

إكمال منظومة حفظ الكتاب والسنة إلى جانب مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي تأسس قبل ٣٥ عاما

استطلاع: توفيق محمد نصر الله

مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث النبوي الشريف الذي صدر الأمر السامي بإنشائه في المدينة المنورة، يعد من أهم مبادرات وإسهامات المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين، وهو يكمل منظومة حفظ الكتاب والسنة إلى جانب مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي تأسس قبل ٣٥ عاما. يهدف المجمع إلى كشف المفاهيم المكذوبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال دراسة وتصحيح هذه المفاهيم على يد جمع من العلماء البارزين، ونبذ ما يفترى عليه من تلفيق لأحاديث باطلة ومنكرة وضعيفة، وتصحيح صورة الإسلام، ونشر تعاليم الدين الصحيح، والإسهام في نشر الفكر المعتدل في أوساط الشباب وتحصينهم من الغلو والتطرف. كما أنه يعزز من دور المملكة الريادي في العالم الإسلامي.

في الصفحات التالية نستطلع آراء نخبة من العلماء والمثقفين حول هذا الإنجاز العظيم الذي سيسجله التاريخ في صدر صفحاته بمداد من نور لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز والذي يهم كل مسلم في جميع أنحاء العالم، ولا سيما أنه يأتي ضمن عمل مؤسسي محكم يقوده نخبة من كبار علماء الحديث المتخصصين في هذا المجال على مستوى العالم.

رابطة العالم الإسلامي تشيد:

بداية نبرز إشادة رابطة العالم الإسلامي بالأمر الملكي لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز بإنشاء «مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث النبوي الشريف»، في المدينة المنورة، وتكوين مجلس علمي له يضم صفوة من علماء الحديث الشريف في العالم. حيث أوضح معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وعضو هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى أن قرار خادم الحرمين الشريفين بإنشاء مجمع الحديث النبوي الشريف جاء «استشعاراً منه لأهمية إنشائِهِ خدمة للسنة النبوية في جميع مجالاتها وفق عمل مؤسسي مُحْكَم باعتبار شرف هذه الخدمة، فضلاً عن الحاجة الماسة لها».

وأضاف أن «الأمر الملكي بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث النبوي الشريف، يأتي أيضاً استجابةً لضرورة مواجهة فقه الاجتزاء المعيب وإيقاف محاولات تمرير النصوص المعلولة سنداً ومتناً، وهو ما يشكل خطورة في منطقة فراغ الدراسات العلمية أو تضاربها السلبي، لا سيما عند تسلل الدخيل عليها، مع أهمية توحيد جهودها وقوة دعمها فيما يَستشرف الجميع اضطلاع المجمع به على أكمل وجه».

وبيّن معالي الدكتور العيسى أن التوظيف «المتطرف» يسعى جاهداً، بدافع من الضحالة العلمية والضلال الفكري لتسويغ أخطائه وانحرافاته بنصوص يحسبها «نصاً ودلالة» على الشريعة، مضيفاً أن هذا المجمع يضاف: بتثمين إسلامي كبير، لمآثر خادم الحرمين الشريفين لخدمة الإسلام والمسلمين حراسةً لعلوم الشريعة.

ودعا المولى جل وعلا أن يجزي خادم الحرمين الشريفين على ما قدم ويقدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

النيابة العامة تصفه بالخطوة التاريخية:

أما معالي النائب العام الشيخ سعود بن عبد الله المعجب فقد

نص الأمر الملكي بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم
الرقم : أ / ٣٥
التاريخ : ٢٧ / ١ / ١٤٣٩هـ
بعون الله تعالى
نحن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية
بعد الاطلاع على النظام الأساسي للحكم، الصادر بالأمر الملكي رقم (أ/٩٠) بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ.
وبعد الاطلاع على نظام مجلس الوزراء، الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/١٣) بتاريخ ١٤١٤/٣/٣هـ.
وبعد الاطلاع على الأنظمة والأوامر والمراسيم الملكية والقرارات والتعليمات ذات الصلة.
ونظراً لعظم مكانة السنة النبوية لدى المسلمين، كونها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، واستمراراً لما نهجت عليه هذه الدولة من خدمتها للشريعة الإسلامية ومصادرها، ولأهمية وجود جهة تعنى بخدمة الحديث النبوي الشريف، وعلومه جمعاً وتصنيفاً وتحقيقاً ودراسة.

أمرنا بما هو آت:
أولاً: إنشاء مجمع باسم (مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف) يكون مقره المدينة المنورة.
ثانياً: يكون للمجمع مجلس علمي يضم صفوة من علماء الحديث الشريف في العالم ، ويعين رئيسه وأعضاؤه بأمر ملكي.
ثالثاً: يُعين معالي الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ عضو هيئة كبار العلماء رئيساً للمجلس العلمي للمجمع.
رابعاً: يبلغ أمرنا هذا للجهات المختصة لاعتماده وتنفيذه.
سلمان بن عبد العزيز آل سعود

أكد أن أمر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود - يحفظه الله - بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث النبوي الشريف في المدينة المنورة وتكوين مجلس علمي له يضم صفوة من علماء الحديث الشريف في العالم؛ خطوة تاريخية لجمع كلمة علماء المسلمين وإعلاء مكانة وحفظ السنة النبوية الشريفة.

وأبان الشيخ المعجب بأن هذا الاهتمام الكريم والعناية المخلصة لسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وما في ذلك من نشر للخير والبر وهداية الإسلام؛ إنما هو امتداد لنهج الإمام المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود «رحمه الله» وأبنائه الكرام من بعده الذين عملوا جاهدين على تعظيم كتاب الله وتحكيمه وعلى خدمة السنة المطهرة بهذه العناية البالغة والتي توجت بهذا الأمر الكريم.

وأضاف المعجب بأن من أهداف إنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث الشريف، كشف المفاهيم المكذوبة عن الرسول الكريم من خلال دراسة وتمحيص وتصحيح هذه المفاهيم على يدي جمع من العلماء البارزين، ونبذ ما يُفترى عليه - صلى الله عليه وسلم- من أكاذيب وتلفيق لأحاديث باطلة ومنكرة وضعيفة.

وأشار إلى أن المجمع سيسهم في نشر الفكر المعتدل في أوساط الشباب وتحصينهم من الغلو والأفكار المتطرفة، وتصحيح صورة الإسلام ونشر تعاليم الدين الصحيح كما سيكون له دور في إحياء السنة النبوية الشريفة والدفاع عنها أمام هجمات الأعداء، وسيعزز من دور المملكة في ريادة العالم الإسلامي.

ودعا الشيخ المعجب المولى جل وعلا أن يجزي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز على ما قدماه ويقدمانه خدمة للإسلام والمسلمين خير الجزاء وأن يديم عزهما وتوفيقهما.

إضافة رائدة:

ومن جهته أكد معالي الدكتور محمد بنتن وزير الحج والعمرة أن الأمر الملكي بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث النبوي الشريف يعكس العناية الفائقة لقادة المملكة العربية السعودية واهتمامها الكبير بالسنة النبوية وعلومها. وأشار إلى أن المجمع يعد إضافة كبرى ورائدة لما تقوم به حكومة خادم الحرمين الشريفين من أعمال جليلة وإنجازات كبرى تصب في خدمة الإسلام والمسلمين في شتى المجالات مما يكرس مكانة هذه الدولة المباركة وتميزها بين دول العالم في خدمة كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عبر عنايتها المتواصلة

ودعمها المستمر واهتمامها بكل ما يخدم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
وبين معاليه أن هذا المجمع سيعين فقهاء الأمة وعلماءها لاستنباط كثير من الأحكام الفقهية التي تشكل مرجعًا للناس في معاملاتهم وسلوكياتهم وأيضا منارة علمية في التوجيه والإرشاد الأخلاقي من خلال عمل علمي ومؤسسي لتعظيم اقتداء الشباب بنبيهم صلى الله عليه وسلم واتباع منهجه وخلقه القرآني الكريم.

• كشف المفاهيم المكذوبة عن الرسول ونبذ ما يفترى عليه من تلفيق لأحاديث باطلة ومنكرة وضعيفة

وأضاف وزير الحج والعمرة أن أهمية هذا المجمع الإسلامي الكبير تنبثق من أهمية العناية بعلوم الحديث الشريف والوقوف ضد محاولات تشويهها بغرض الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، خاصة في هذا الواقع المعاصر الذي يؤكد الحاجة إلى إنشاء مجمع يعنى بالحديث النبوي الشريف ويؤكد مكانة السنة النبوية بوصفها واحدة من أهم مصادر الفهم الإسلامي الصحيح والذود عنه من كل تأويل خاطئ أو فهم مغلوط وتعزيز انتفاع الأمة بالحديث النبوي الشريف والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وإبراز سيرته العطرة وشمائله الزكية وما جاء به من خير وهدى للناس كافة.
وكشف بنتن أن اختيار المدينة المنورة مقرًا للمجمع يعكس أهميتها الإسلامية كمركز علمي وديني متجدد يشع برسائل الإسلام المعتدلة للأمة الإسلامية والعالم أجمع. وسأل وزير الحج والعمرة الله عز وجل أن يجزي خادم الحرمين الشريفين خير الجزاء وعظيم الثواب على صدور الأمر الكريم بإنشاء المجمع وأن يحفظ لهذه البلاد المباركة ولاة أمرها وأمنها واستقرارها.

الشثري يثني على الأمر الملكي:

أما عضو هيئة كبار العلماء المستشار في الديوان الملكي الدكتور سعد الشثري فقد أكد على أن الأمر جاء موفقًا، إذ يهدف إلى العناية بالحديث الشريف ونشر الكتب المعنية.
وقال إن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي مصدر من مصادر الأحكام الشرعية ويعول عليها كثيرًا في فهم القرآن الكريم واتباع السنة النبوية المطهرة، وصولا إلى استقامة حال المسلم بها في الدنيا والخير الوفير في الآخرة.
واختتم قائلا «نرجو لهذا المجمع الخير والنفع العظيم في أرجاء الأمة، وقد وفق الله خادم الحرمين باختيار الشيخ محمد آل الشيخ ليكون قائما على المجمع، وقد عهدت من الشيخ العلم والعقل وتبصر الأمور والحرص على الخير والرغبة في تحقيق مقاصد الشرع فكان قرارًا موفقا».

بيان من منظمة التعاون الإسلامي:

أما الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، فقد أشاد بالخطوة التاريخية الرائدة المتمثلة في إنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز، للحديث النبوي الشريف.
وأكد في بيان له - أن المجمع سيقف حاجزًا منيعا للتأويل والافتراء على الحديث الشريف، ومن شأن هذه الخطوة التصدي لظاهرة الإرهاب والتطرف والفهم الخاطئ للإسلام عبر النصوص الشرعية الموثوقة.

امتداد لنهج الإمام المؤسس:

أما معالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، فقد أكد بأن الأمر الملكي الكريم الذي صدر بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف؛ يأتي في إطار الاهتمام الكريم والعناية المخلصة لسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وما في ذلك من نشر للخير والبر.
وقال: «إن هذا الاهتمام ليس جديداً على هذه البلاد المباركة أو مستحدثاً، إنما امتداد لنهج الإمام المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - حيث كان من أقواله (إن كتاب الله مرجعنا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دليلنا فهما كل ما نحتاجه من خير ورشاد ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامتهما وتحكيمهما في كل أمر من الأمور).
وحمد الدكتور السديس الله جلت قدرته على ما وفقنا إليه في هذه البلاد المباركة من قيادة كريمة عنيت وتعنى بكتاب الله وسنة رسوله تعلماً وتعليماً وتحاكماً وتحكيماً والتزاماً بنهجهما القويم، مؤكداً أن القرآن الكريم كتاب الله هو الدين والمرجع، قال تعالى: «لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي دليله المبين والموضح وفيها يقول صلوات الله وسلامه عليه: «إني أوتيت القرآن ومثله معه». ولذا هما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي.
وأوضح أن السنة المطهرة قد ترتقي في درجات التأصيل والتشريع حتى تصير مُؤسسة ومنشئة لأحكام جديدة، حيث شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتباع السنة والاهتمام بها والحفاظ عليها، مستشهداً بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رغب عن سنتي فليس مني»، وعن العرباض بن سارية قوله صلى الله عليه

وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وعضوا عليها بالنواجذ».

الحديث النبوي أساس للعقيدة الصحيحة:

وأوضح فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عواد الجهني إمام وخطيب المسجد الحرام أن من المُسلَّم به عقيدة وشريعة أن السنة النبوية وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم للتشريع الإسلامي، قال تبارك وتعالى: «وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا»، وروى أبو داود في سننه من حديث المقدام بن مَعْدِ يُكَرِب عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَه»، فمن خلال هذه الأدلة وغيرها - الكثير والكثير مما لا يتسع المقام لاستقصائه وإيراده -، تتمثل لنا قيمة الحديث النبوي في بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة، والشريعة الإسلامية القويمة.

وأضاف فضيلته: «إن الحديث النبوي من حيث إنه يفسر الكتاب الكريم، ويفصل أحكامه، ويبين متشابهه، وتتم به مقاصده وغاياته، ومن حيث إنه يؤسس لعقيدة المسلم - عقيدة سليمة خالية من الزيغ والميل عن الحق -، ثم يرشده في عبادته ومعاملاته وأخلاقه وجميع الأحكام الشرعية، أقول إن الحديث النبوي - عقب ما ذكر جميعا -، يمثل من الأهمية بعدًا مضيئًا، في تكوين عقلية المسلم، وتنظيم علاقته بربِّه - جل وعلا -، وفي تصوره عن الأنبياء والمرسلين، وبالكتب وبالشرائع السماوية السابقة، وتصوره تصورا سليما عن عالم الغيب، وعن البعث والنشور، ويوم القيامة».

وبين إمام وخطيب المسجد الحرام قائلا: إنني أجمع كل هذه المعاني التي صدَّرْت بها الكلام عن الحديث النبوي الشريف؛ لأُلْقِيَ الضوء على منجز فضيل وبادرة عظيمة كريمة، تتجلى في الأمر الملكي الكريم من مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - حفظه الله -، بإنشاء «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف» ويكون مقره المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم -، والحقيقة أن هذا البذل هو امتداد لجهود هذه الدولة المباركة - المملكة العربية السعودية -، في خدمة الإسلام والمسلمين، وكما سبقه إنشاء مجمع الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله وغفر له - لطباعة المصحف الشريف.

واختتم الشيخ الجهني بالدعاء لله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجزي الملك سلمان بن عبد العزيز خير الجزاء، وأن يجعل ما يقدمه للإسلام والمسلمين خالصا في ميزان حسناته، وأن يطيل بقاءه، وينعمه بالصحة والعافية، وأن يجعله ذخرًا للإسلام والمسلمين.

ولاة أمرنا حرصوا على خدمة الوحيين:

كما أكّد أستاذ السُّنَّة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور أحمد بن عبدالله الباتلي؛ أن مجمع خادم الحرمين للحديث النبوي يأتي تجسيداً لعناية الملك سلمان - حفظه الله - بالسنة النبوية، وهذه البلاد المباركة قامت على تطبيق الشريعة الإسلامية

• قطع الطريق على الإرهابيين والمتطرفين الذين يحاولون اختطاف السنة النبوية وتوظيفها في خدمة أغراضهم الإرهابية

والالتزام بالكتاب والسنة في أنظمتها كافة.

وقال إن ولاة أمرنا في المملكة العربية السعودية حرصوا على خدمة الوحيين؛ القرآن والسنة، فكان مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف صرحاً شامخاً في نشر القرآن بجميع اللغات، وتمّ توزيع المصاحف على جميع المسلمين في العالم، ويأتي الآن مجمع خادم الحرمين الشريفين للحديث النبوي محققاً لتطلعات المسلمين في العالم؛ بنشر السنة النبوية.

وأكّد أستاذ السُّنّة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أن مركز خادم الحرمين الشريفين للحديث الشريف جاء لتحقيق أهداف سامية في التصدّي لظاهرة الغلو والتطرّف، ونشر الاعتدال والوسطية في سنة خير البرية، وذلك بإعطاء الصورة الناصعة عن الإسلام كدين للعدل والتسامح والوسطية والاعتدال وإبراز شمولية السنة النبوية في جميع المجالات الشرعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقفة من وقفات الخير:

وقال فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن ناصر الخزيم نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام مشيداً بصدور الأمر الملكي: «إنه يعد وقفة من وقفات الخير في مصلحة السنة المطهرة، وذلك بعد عناية الدولة الفائقة بالقرآن الكريم».

وقدم الشيخ الدكتور الخزيم وافر الشكر وعظيم الامتنان وعميق الدعاء بالمثوبة والتوفيق لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود وسمو ولي عهده الأمين على هذا الوفاء لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا الاهتمام بمصلحة الإسلام والمسلمين.

حاجة وضرورة ملحة للمسلمين:

وأكد فضيلة الشيخ قيس بن مبارك بأن أمر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود- حفظه الله- بإنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف، يعد حاجة وضرورة ملحة للمسلمين.

وأضاف: إنه على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت في خدمة الحديث الشريف في العالم الإسلامي إلا أنَّ أغلبها لم يصل إلى التمام، وبعضها قصر دون عظيم شأن الحديث الشريف، وما أحوجنا إلى مثل هذا المجمع الذي يُعنى بالبحث في أقوال مَن أوتِيَ جوامع الكلِم صلوات ربي وسلامه عليه، وتصرفاته، ففي الحديث الشريف دلالاتٌ تشريعية واجتماعية وتاريخية واقتصادية وسياسية تتقاصرُ دون استنباطها الجهود الفردية، وليس بغريب إنشاء المجمع باسم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود- أيده الله- الذي عُرف بعنايته بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

ودعا الشيخ قيس بن مبارك- الله العلي القدير- أن يوفق خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود على هذا العمل العظيم، وأن يجعل ذلك في صحيفة أعماله الخيرة، وأن يشد أزره بولي عهده الأمين، ويديم على بلادنا نعم الأمن والخير والاستقرار.

منارة علم ومرجع للمسلمين:

أما فضيلة الدكتور عبد الله بصفر الأمين العام للهيئة العالمية للقرآن والسنة، فقد أكد بأن أمر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود- حفظه الله- بإنشاء مجمع للحديث النبوي الشريف بالمدينة المنورة، يدل على عنايته بالسنة النبوية كمصدر من مصادر التشريع ليكون هذا المجمع منارة علم ومرجعًا للمسلمين في جميع بلاد المسلمين.

وقال: إنه لشرف عظيم للمملكة ولخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز- حفظه الله- نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، والاقتداء به في عقيدته وعباداته وأخلاقه، ونصرة سنته المطهرة التي جعلها النبي الكريم مع القرآن العظيم بقوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله، وسنتي»، مشيرًا إلى أن المجمع يأتي مساهمة قوية في حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم من الضياع ومن التحريف.

ووصف فضيلة الشيخ الدكتور خالد الشايع المستشار الشرعي والباحث في السنة النبوية الأمر الملكي بإنشاء المجمع بأنه: إضافة عالمية كريمة في خدمة الإسلام ورعاية مصدريه العظيمين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، انطلاقاً من مهبط الوحي ومنبع الرسالة النبوية.

وذكر أن الأمر الكريم يؤكد على تشرُّف المملكة باستمرار نهجها في تعظيم وخدمة القرآن والسُّنة الغراء، وأن هذا أمر لا تخطئه العين في سيرة ملوك المملكة، بدءاً من المؤسس الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، وأبنائه الملوك من بعده: سعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله رحمهم الله. وها هو الملك سلمان يتابع المسيرة المباركة في إدارة الدولة والرعاية لمصالحها العليا وخدمة الإسلام. وقد تعددت مبادراته الكريمة نحو السيرة النبوية وصاحبها عليه الصلاة والسلام، ومنها دعمه لمشروع الأطلس التاريخي للسيرة النبوية، لذا توجهت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية للاعتراف بهذا السبق وأعلنت عن تقديرها للملك سلمان بمنحه جائزة خدمة الإسلام.

ومن الواضح شدة الاهتمام بهذا المجمع من لدن خادم الحرمين الشريفين تبعاً لاهتمامه بخدمة الإسلام ومصادره، ولذلك نصَّ أمره الكريم على أن يُعيَّن رئيسُ مجلسه العلمي وأعضاؤه بأمر ملكي، وهذه أرفع المراتب في الدولة.

ويأتي تأسيس هذا المجمع مكملاً لشرف المملكة بخدمة الوحيين، فقد تبنت المملكة احتضان المصحف الشريف للعناية به ونشره ونشر ترجمات معانيه في العالم بالمجان ، ضمن أكبر مجمع من نوعه، وهو مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، وجاء مجمع الملك سلمان للحديث النبوي الشريف ليسد ثغرة مهمة طال انتظارها للعناية المتكاملة والمتخصصة بأحاديث نبي الهدى محمد.

ومن أجل تكامل الخدمة لهذا الأصل العظيم في شريعة الإسلام فإن الأمر الملكي الكريم يؤكد على قيام المجمع بخدمة السنة النبوية الغراء خدمةً متخصصة وموضوعيةً دقيقةً عبر أربعة محاور مهمة هي: الجمع والتصنيف والتحقيق والدراسة للحديث النبوي الشريف وعلومه. والمتخصصون في السنة النبوية يدركون عمق وتخصص هذه المحاور الأربعة لتحقيق التكامل في خدمة الحديث النبوي الشريف.

وينتظر أن يسهم هذا المجمع في تعريف العالم بما حوته سنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم من الرحمة والسماحة والوسطية، كما قال الله في وصفه: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ».

ويأتي الأمر الملكي الكريم بتأسيس المجمع في وقت أحوج ما يكون

• منارة علم ومرجع للمسلمين في جميع أنحاء العالم

فيه الناس إلى مثله، بعد الثورة المعلوماتية وتطور أساليب التواصل، بما يدعو لاستثمار إمكانياتها في نشر الأحاديث الصحيحة ، وقطع الطريق على ما صاحبها من سلبيات في تداول الأحاديث الضعيفة والمكذوبة، وتأسيس هذا المجمع وما سيضطلع به من رسالة نوع من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، كما يوضحه ما رواه تميم الداري رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة ثلاثاً ، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم.

قال العلامة ابن رجب رحمه الله في شرحه: وأما النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته: فالعناية بطلب سُنته، والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره، ولزوم القيام به، وشدَّة الغضب والإعراض عمَّن تديَّن بخلاف سنته، والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا، وإنْ كان متديناً بها، وحبّ مَنْ كان منه بسبيلٍ من قرابة أو صِهرٍ أو هِجرةٍ أو نُصرةٍ أو صحبة ساعة.

وإنا لنرجو الله الكريم لقيادتنا ممثلة في خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده مزيد الشرف بخدمة الإسلام والقرآن والسُّنة، وأن يعينهما على كل ما فيه الخير والبر والتقوى.

إنجاز غير مسبوق:

ووصف معالي وزير الثقافة والإعلام الدكتور عواد بن صالح العواد «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف» بأنه يمثل إنجازاً غير مسبوق لخدمة السنة النبوية، وحفظ المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بطريقة علميّة، تقوم على أسس منهجية لدراسة ما يتصل بالحديث النبوي الشريف من الأسانيد والمتون والرواة وعلم الرجال من قبل مجلسٍ علمي للمجمع، يتكون من صفوة علماء الحديث في العالم.

وقال العواد إن هذا المجمع الذي أمر بتأسيسه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان في المدينة المنورة، يضاف إلى أعماله الجليلة في خدمة الإسلام ورعاية المسلمين، والاهتمام بكل ما من شأنه رفعة الأمة الإسلامية، وإبراز الصورة الصحيحة للإسلام. وأكد العواد أن مجمع الملك سلمان للحديث النبوي الشريف سوف يصون الأحاديث الصحيحة، وسيكون مرجعية أصيلة للحديث النبوي الشريف وعلومه جمعاً وتصنيفاً وتحقيقاً ودراسة، ووجه العواد الشكر لخادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد، على العناية الكريمة بخدمة الإسلام وعلومه، وتسخير الجهود لأعمال الخير لعموم المسلمين في كل مكان، كما هو الحال مع هذا المجمع الذي ستعم فائدته وينتفع به المسلمون في أصقاع الأرض، سائلاً المولى عز وجل أن يجزل لهما المثوبة وأن يجزيهما خير الجزاء.

الهيئة العامة لكبار العلماء تنوه بالأمر الملكي:

أما الهيئة العامة لكبار العلماء فقد نوهت من جهتها بالأمر الملكي الكريم الذي صدر بإنشاء مجمع باسم: مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف.

• نقلة نوعية في العناية بالسنة النبوية والحديث النبوي الشريف

وقال الأمين العام لهيئة كبار العلماء الدكتور فهد بن سعد الماجد في تصريح له «إن هذا الأمر الملكي يأتي استمرارا لما نهجت عليه هذه الدولة المباركة من خدمتها للشريعة الإسلامية ومصادرها، كما أنه يلبي حاجة طالما تنادى إليها المتخصصون والمهتمون بالحديث النبوي الشريف؛ بوجود جهة تعنى بخدمة الحديث النبوي الشريف وعلومه جمعاً وتصنيفاً وتحقيقًا ودراسة»، مؤكدًا أنه كما لمس المسلمون الفائدة الكبيرة والأثر الطيب المبارك لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف؛ فسيجدون ـ بإذن الله ـ نفس الأثر لهذا المجمع «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف».

وسأل الله تعالى أن يجزي خادم الحرمين الشريفين خير الجزاء؛ لما يقدم في خدمة دينه وسنة نبيه وأمته ووطنه، وأن يشمله بالدعوة النبوية في قوله عليه الصلاة والسلام «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها».

دلالات ورسائل عظيمة لاختيار المدينة المنورة مقرا للمجمع:

الأستاذ محمد بن مصطفى النعمان مدير عام مركز بحوث ودراسات المدينة قال: مثل هذه المبادرة المباركة لا يمكن إلا أن تبعث البهجة والفرح في قلوب المسلمين جميعاً ويستقبلونها بكل فخر واعتزاز، هي فرحة تتجاوز حدود المكان والجغرافيا إلى حيث يمتد تأثير الإسلام ورسالته العظيمة إلى كل مكان في المعمورة.

وأضاف: ليس غريباً على قائد مسيرة بلاد الحرمين الشريفين خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله- مثل هذه المبادرات الخيرة والنيرة في طريق العلم والعلماء، وقد عرف المسلمون رعايته للحرمين الشريفين وحرصه الدائم على كل ما فيه صلاح الأمة وإعلاء شأنها وتلبية تطلعاتها في شتى أروقة العلم والمعرفة.

ولا شك أن اختيار المدينة المنورة مقرًا للمجمع يحمل دلالات

ورسائل عظيمة وعميقة بالنظر لمكانة طيبة الطيبة في وجدان العالم الإسلامي. ويؤكد كذلك أصالة التوجه، وفي ذلك ربط للماضي بالحاضر والمستقبل، ففي المدينة عاش النبي محمد صلى الله عليه وسلم ودفن في أرضها، ومن طيبة الطيبة انتشر الإسلام في كل أنحاء العالم.

وعّدد حجم الفائدة الكبيرة التي سيجنيها المسلمون وعلماء الحديث في مختلف أوساطهم العلمية من وراء الاهتمام الكبير بهذا المصدر الرئيس من مصادر شريعتنا الإسلامية. ولا شك أن حجم التجهيزات والإمكانيات وقبل ذلك الكوادر المتخصصة من علماء الحديث ونخبة الباحثين والخبراء في هذا المجال ستجعل هذا المجمع المبارك ينهض بما يناط به من مهام ويحقق أهدافه بكل اقتدار وجهد واحترافية عالية، مما يسهم في نشر السنة النبوية، ويحقق رسالة هذا الصرح في تقديم الدراسات والبحوث المثرية في هذا الجانب.

وينتظر أن يلبي هذا المجمع الواعد حاجةً ملحة طالما تنادى إليها المتخصصون والمهتمون بالحديث النبوي الشريف، وطموحهم بوجود جهة متخصصة تعنى بخدمة الحديث النبوي الشريف وعلومه جمعاً وتصنيفاً وتحقيقاً ودراسة.

السير على نهج المؤسس:

وأكد المدير العام المكلّف لفرع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنطقة المدينة المنورة التي ستحتضن المجمع فهد التويجري، أن إنشاء «مجمع الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف» هو مواصلة للسير على نهج مؤسس هذه البلاد الملك عبد العزيز، وما قامت عليه من نشر الإسلام والعقيدة الصحيحة والعناية بها وبمصادرها.

وقال التويجري: «لما لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانة في قلوب المسلمين، في شتى أصقاع الأرض، فقد حرص ولاة أمرنا أن تكتمل منظومة العناية بالوحيين، فبعد مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سيكون مجمع الملك سلمان بن عبد العزيز للحديث النبوي الشريف الذي سيكون من آثاره حماية السنة ومصادرها الصحيحة».

ترحيب واسع من علماء الأمة:

هذا وقد حظي الأمر الملكي الكريم بترحيب واسع من علماء الأمة الإسلامية من مختلف الدول، مؤكدين أن المجمع سيكون فتحاً مهماً في مجال العناية بالسنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للشرع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

وقد عبر الأستاذ الدكتور فهد بن سعد الجهني أستاذ الدراسات العليا الشرعية بجامعة الطائف عن سعادته بصدور هذا الأمر الملكي الكريم، حيث قال إن مثل هذه القرارات لا يمكن أن تستقبل إلا بكل سعادة وفرح لأنها قرارات تاريخية في تاريخ الأمة، ومثل هذه القرارات التاريخية لا تتكرر كثيرًا إنما يوفق لها الله بعض عباده ومنهم خادم الحرمين الشريفين الذي وفقه الله وهداه إلى مثل هذا العمل الإسلامي العظيم.

لا شك أن مثل هذه المبادرة لها أهميتها الكبرى لا سيما في هذا العصر الذي نعيشه، وبعض الطلبة والمختصون يعرفون هذا الكلام جيدا، فهناك هجمة على السنة النبوية من جهة صلاحية الاحتجاج بها كمصدر تشريعي. وهناك كثير من الكتابات التي كتبت في أنحاء العالم الإسلامي وفي خارجة تتعلق بالسنة، ولا شك أن وجود مثل هذا المجمع الذي يضم بين جنباته بإذن الله نخبة من كبار المتخصصين في الحديث وعلومه وفي علوم الشريعة عموما، ولا شك سيكون له دور كبير في الذود عن حياض السنة وحماية جنابها من جهتين؛ من جهة الرواية وجمع المصنفات وطباعتها، ومن جهة الذب عنها كمصدر تشريعي يجب الاحتجاج به.

وفي جمهورية مصر العربية أكد وكيل الأزهر الشريف الدكتور عباس شومان أن هذا المجمع بما تضعه حكومة المملكة من إمكانات له يمثل نقلة نوعية في العناية بالسنة النبوية وبالحديث النبوي الشريف، ويسهم في قطع الطريق على المتطرفين الذين يحاولون اختطاف السنة النبوية وتوظيفها في خدمة أغراضهم، لافتًا إلى أن كل جهد علمي للعناية بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم على الجميع مساندته ومباركته.

وفي تونس أكد المفكر الإسلامي التونسي عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الدكتور صلاح الدين المستاوي أن: «هذه الخطوة تصب في مصلحة التأطير العلمي، لجمع ودراسة كل ما يتصل بالسنة النبوية المطهرة، وأتصور أن المجمع سيكون بمثابة بيت لكل علماء الحديث والسنة النبوية في العالم أجمع».

وفي أستراليا أكد مفتى أستراليا الدكتور إبراهيم أبو محمد ترحيبه بهذه الخطوة، وقال: «إنها تأتي متسقة مع تاريخ المملكة الطويل، وجهود خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز في خدمة الشرع الحنيف». لافتاً إلى أن المجمع سيكون بمثابة محور ارتكاز لعلماء السنة النبوية يقوم على دراسة السنة والأحاديث النبوية الشريفة والتواصل مع كل علماء الحديث في العالم.

ومن جانبه أوضح خطيب المسجد الأقصى وزير الأوقاف الفلسطيني السابق الدكتور يوسف جمعة سلامة، أن إنشاء المجمع يتكامل مع مسيرة المؤسسات التي أنشأتها المملكة لخدمة الشريعة الإسلامية وكتاب الله والسنة النبوية الشريفة مثل مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبوية، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام وغيرها من المؤسسات.

في حوار مع أمينها العام::

هيئة الإغاثة وجهودها الإنسانية عبر العالم

جدة ـ طلال العفيفي

أجمعت عديد من المنظمات العالمية ومختلف الهيئات العاملة في المجال الإنساني على أن رابطة العالم الإسلامي عبر هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية استطاعت أن تشكل حضورًا واسعًا، وعطاءً متجددًا في كل الميادين المتعلقة بالعمل الإغاثي والإنساني؛ خاصة في مجال الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والتنموية لمساعدة الفقراء والمحتاجين في كل حالات المحن والشدائد والملمات، وبتعليمات من أمينها العام الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى.

جاء هذا التميز بحكم وقوعها في رحاب هذه الأرض الطاهرة والمعطاءة منذ عقود متواصلة، إضافة إلى اقتفائها أثر المملكة وقيادتها الرشيدة الداعية لتقديم المساعدات الإنسانية لكل الشعوب المحتاجة في كل الأزمات بسبب الحروب الأهلية، والنزاعات العرقية والطائفية، وشتى أنواع الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات.

ولأن رابطة العالم الإسلامي لها الكثير من الوقفات المضيئة، من خلال منظمتها (هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية) التي تعد رافدًا من روافد العمل الخيري بالمملكة، إذ قدمت بعون الله تعالى ثم بدعم الشعب السعودي الكريم مساعدات عاجلة ومتنوعة كان لها الأثر الفعال في إنقاذ وبجدة الملايين من الفقراء، والمتشردين، والمحتاجين.

في هذا اللقاء تحدث حسن بن درويش شحبر الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية عن هذا العطاء الذي قُدِّم لهؤلاء المحتاجين دون مَنٍّ أو أذًى، وبمدلولات تتعامل مع أي فئة دون أخرى من حيث الجنس أو اللون أو المعتقد، وتتعاون الهيئة مع أهل الخير والمحسنين لتقديم هباتهم لإخوانهم المحتاجين والمنكوبين في مختلف أرجاء المعمورة؛ حيث تصل المساعدات لأيدي كل من أرهقه الزمن وأوقعه في فخ الجوع أو المرض.

الدور الريادي للمملكة

• في البداية ما دور المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين في مجال العمل الإنساني؟

• جهودنا الإغاثية والإنسانية والإعمار والتنمية تشمل الجميع دون تمييز بين لون أو دين أو عرق

• المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (حفظه الله) ما زالت تمضي قُدُمًا وبخطوات ثابتة للوقوف بجانب الشعوب المنكوبة، وكان لها باع طويل في هذا الشأن منذ تأسيسها على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (يرحمه الله) الذي أرسى هذه القواعد الإنسانية؛ وذلك بتقديم (١٠٠) ألف دولار مساعدة للمنكوبين من الفيضانات التي اجتاحت إقليم (البنجاب) في الباكستان في عام ١٩٥٠م.

وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بتعليمات من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى بوصفها رافدًا من روافد الخير السعودي والنهج الإنساني المعترف به دوليًّا، لم تألُ جهداً في تقديم مساعداتها وفق إمكاناتها المتاحة لضحايا الكوارث الطبيعية والحروب الأهلية والصراعات الطائفية في كل أصقاع الأرض، وتسارع إلى تقديم العون عند حدوث أي كارثة.

وهذه المواقف النبيلة ليست غريبة على مليكنا المفدى (أيده الله)؛ ولا سيما أنه يحمل رصيدًا ضخمًا في كل المناحي والأصعدة السياسية والإدارية والاقتصادية، وسجلًّا حافلًا من النشاطات العلمية والاجتماعية والإنسانية؛ مما جعل عمله الإنساني يحظى بشعبية جارفة في العالمين العربي والإسلامي، وذلك منذ أن كان أميرًا لمنطقة الرياض.

• إن رصيد خادم الحرمين الشريفين في مجال العمل الخيري والإنساني لا تخطئه العين، خصوصًا وأنه (حفظه الله) يحث الجميع على مثل هذه المبادرات الطيبة حيث قال (حفظه الله): «بأن ما يميز هذه البلاد هو حرص قادتها على الخير والتشجيع عليه، وهذا ما نراه من مؤسسات خيرية في مختلف المجالات».

وكان آخر هذه المؤسسات هو تأسيس مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية الذي أصبح في وقت قصير علامة بارزة في مجال العمل الإنساني وإغاثة المنكوبين في مختلف أرجاء المعمورة.

إن تأسيس خادم الحرمين الشريفين للعديد من المؤسسات الخيرية منذ توليه إمارة (الرياض) يؤكد على اهتمامه البالغ بمجال العمل الإنساني وحرصه الكبير عليه.

وإن إسهامات خادم الحرمين الشريفين (حفظه الله) الوفيرة في مجال العمل الخيري وتقلده لرئاسة أكثر من (خمسين) جمعية وهيئة ولجنة في داخل البلاد وخارجها رغم مشغولياته ومسؤولياته الكبيرة لقيا التقدير العالمي، ونيله العديد من الأوسمة والجوائز والدروع العالمية، منها درع الأمم المتحدة لتقليل آثار الفقر في العالم، ووسام البوسنة والهرسك الذهبي، ووسام (سكتونا) الذي يعتبر أعلى وسام في الفلبين، والوسام الأكبر الذي يعد أرفع وسام في جمهورية السنغال.

كما أن اهتمام مليكنا المفدى بالأعمال الإنسانية فتح الأبواب واسعة أمام جمعيات العمل الإنساني كافة، وأن الهيئة تستفيد من كل الخبرات المتراكمة في الجمعيات الإنسانية بالمملكة العربية السعودية.

أهداف الهيئة:

• كيف نشأت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وما الأهداف التي رسمتها الهيئة لإيصال مساعداتها للشرائح الفقيرة أو المحتاجة؟

• أنشأت رابطة العالم الإسلامي هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية منظمة خيرية إنسانية إغاثية عالمية الأداء عام ١٣٩٨هـ لتكون رائدة في العمل الخيري المؤسسي؛ بما يخدم الإنسانية ويحقق الإعمار والتنمية دون تمييز بين لون أو دين أو عرق، ومد جسور الخير والعطاء بين من يستطيع من أهل الخير ومن يحتاج من الشعوب والمجتمعات الفقيرة بهدف مكافحة الفقر والجهل والمرض.

ووضعت الهيئة على عاتقها الكثير من الأهداف الرامية إلى تقديم خدماتها لتلك الشرائح، واتسمت بعديد من الخطط والبرامج والإستراتيجيات المنبثقة من العقيدة السمحة، وعبرت بهذا النهج القويم فضاءات رحبة من العطاء المستمر؛ مما جعلها تتبوأ الريادة في هذا المجال الخيري، خصوصًا وأنها رأت النور من أرض يتميز أبناؤها وبناتها بالكرم والإيثار لمساعدة

الفئات الفقيرة والمحتاجة، وكذلك المقيمون على أرض المملكة العربية السعودية وخارجها الذين كان لمساهماتهم الدور الرائد بجانب أشقائهم بالمملكة، فانهمرت الخيرات نحو الهيئة، عبر بوابة المحسنين لتروي ظمأ الملهوفين في كل مكان من اللاجئين، والنازحين، والمهجرين، والأيتام، والمعاقين، والمسنين، والأسر الفقيرة، والمطلقات، والأرامل من خلال مكاتبها في معظم أرجاء المعمورة، ووفودها التي ما فتئت -ورغم الصعاب- تجوب المناطق النائية والبعيدة لتكفكف الدموع عن المآقي وتمسح الأحزان من الوجوه.

كما أن أداءها اتسم بالعمل المؤسسي، وبنهج حضاري من القيم والمثل الكامنة في أنظمتها الإدارية والمالية التي وضعتها في إطار من القوانين واللوائح، فكان التميز هو شعارها المرفوع في كل زمان ومكان، ونفذت مشاريعها بدون أن تتدخل في الشؤون الداخلية للدول أو المنظمات الأخرى، والقيام بعملها بكل مصداقية وشفافية.

أفكار وبرامج:

• هذه الآفاق التي تتطلعون إليها تحتاج إلى أفكار وبرامج. فما هذه الأفكار أو البرامج؟

• وفقًا للنظام الأساسي وخططها الإستراتيجية تسعى الهيئة إلى المساهمة الفعالة في تنمية المجتمعات في شتى جوانبها الحضارية والتربوية والصحية والاجتماعية، والعناية بالنُّخَب المؤثرة من ذوي الاحتياجات الخاصة من الناحية التعليمية والتأهيلية، إضافة إلى تأصيل روح التطوع والاعتماد على الذات والتعاون والتنسيق مع الجمعيات والمؤسسات ذات الاهتمام المشترك في العالم. وهناك مساعٍ حثيثة من الهيئة للوصول إلى الريادة في مجال العمل الخيري، وأن تصبح هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ضمن المنظمات الثلاث الأولى التي لها السبق في الحضور المبكر لمناطق الكوارث، وأن تصبح بيت خبرة في هذا الصدد والوصول بكوادرها البشرية إلى مرافئ الاحترافية العالمية مع تطبيق المعايير العالمية للجودة، وترمي الأهداف التي تتطلع إليها الهيئة إلى تحقيق الشراكة الإستراتيجية مع الدول والمنظمات والأفراد، وأن تصبح ضمن أفضل (١٠) هيئات عالمية في تنفيذ برامج الإعمار والتنمية، مع تحقيق التمويل الذاتي لجميع مشروعاتها.

ثقافة التكافل والتنمية:

• ما الوسائل التي تتخذها الهيئة لتنفيذ هذه الأهداف؟

• هناك العديد من الوسائل التي تستند في المقام الأول إلى الدعم المالي، مثل ما يبذله أهل الخير من ولاة الأمر ورجال الأعمال والمواطنين والمؤسسات في الدعم والتمويل، بجانب حث الآخرين على التطوع بالجهد والمال، ليتسنى تقديم المساعدات للفئات المحتاجة، والمتأثرين بسبب الكوارث والنوازل في كل الظروف القاهرة، إضافة إلى تنفيذ برامج الهيئة الدعوية والإغاثية والاجتماعية والصحية والتنموية بما في ذلك إنشاء المدارس والمساجد والمستشفيات والمستوصفات وتطويرها، وذلك عبر وسائل إدارية متمكنة، وذلك عبر التأهيل المستمر لكوادر الهيئة على أعلى المستويات من قِبَل مؤسسات تدريبية عالمية ومحلية، مثل مؤسسة (كن سعيدًا)، والهيئة تسعى دوما لتطوير نظمها الآلية (الحوكمة) وذلك بالتعاون مع المؤسسات الخيرية السعودية مثل مؤسسة

• مملكة الإنسانية وشعبها المعطاء سند الهيئة في مساعدة المحتاجين في مختلف دول العالم

(نماء الراجحي الخيرية).

وتتضمن هذه الوسائل كفالة الأيتام واليتيمات، وإنشاء وإدارة الدور والمراكز الاجتماعية، والمشاريع والبرامج التي من شأنها المساعدة في تنمية موارد الهيئة. ومن أجل تقديم هذه الخدمات اعتمدت الهيئة على مواردها المالية من الدعم المتواصل من قبل المحسنين وأهل الخير والهبات والزكوات والصدقة الجارية.

وخَطَتْ هيئة الإغاثة خطوات كبيرة في مجال مشاريع الوقف والاستثمار كرافد من روافدها المهمة في بناء شخصيتها الإغاثية المتمثلة في النهوض بمستوى المجتمعات الفقيرة والمساهمة في درء وتخفيف معاناة المتأثرين بشتى أنواع الكوارث والنوازل والملمات. وبفضل من الله عز وجل، ثم بدعم المحسنين الكرام تمكنت الهيئة من شراء عدد من قطع الأراضي في مكة المكرمة لتقيم فيها عددًا من المشروعات الوقفية تعود إيراداتها لصالح مختلف أنشطة الهيئة، ومن ضمن هذه المشروعات: وقف بيوت الله في مكة المكرمة بحي الخالدية لبناء مشروع تجاري وسكني، ووقف الأيتام لبناء فندق مكون من ٣٠ طابقًا في قطعة أرض في أجياد، ووقف الرعاية التربوية في المسفلة بشارع الهجرة، ووقف تنمية المجتمع في شارع إبراهيم الخليل بالمسفلة، ووقف الدعوة والقرآن الكريم في شارع الحرم بالمعابدة، ووقف الرعاية الصحية في شارع العزيزية. وبلغت تكلفة هذه الأوقاف نحو مليار وواحد وأربعين مليون ريال.

مجلس الهيئة:

تستعدون هذه الأيام لعقد اجتماع الجمعية العامة لهيئة

الإغاثة الإسلامية العالمية هل يمكن أن تعطونا فكرة عن هذا الاجتماع؟

تستقبل الهيئة وجوهًا طيبة مباركة وعلماء أجلاء ورجال أعمال وشخصيات تمثل كل أطياف المجتمع الخيِّر بالمملكة، وضيوفًا مشاركين من خارج المملكة في الاجتماع الحادي عشر (اجتماع الجمعية العامة الحادي عشر لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية). ونتطلع إلى هذا الاجتماع لرفد مسيرة الهيئة بالرأي الناصح والرؤية الواضحة والتوجيهات السديدة؛ لننتقل بأعمالنا إلى منظومة العمل المؤسسي وعبر رسم أطر وخطط إستراتيجية قريبة وبعيدة المدى تستشرف فيها آفاق المستقبل. ونتطلع من أعضاء الجمعية العامة المساهمة النيرة والأفكار الجديدة والرؤى السديدة وأن يضخوا في شرايين الهيئة مزيدًا من الحيوية والحماس، والقدرة على تطوير العطاء.

• مشاريع الوقف تجربة رائدة تنفذها الهيئة بأكثر من مليار ريال في مكة المكرمة

العلاقات مع المنظمات العالمية:

• وماذا عن علاقات التعاون والشراكة بين الهيئة والمنظمات العالمية؟

• تتمتع هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بعلاقات تعاون وشراكة فاعلة مع أكثر من (١٣) منظمة أممية ودولية وإقليمية، ووقعت عددًا من الاتفاقيات مع بعض هذه المنظمات؛ بغية تنفيذ بعض المشروعات الصحية والتنموية والبيئية في بعض دول العالم، خصوصًا في الدول التي ترزح تحت نير الفقر والقحط والمجاعة، ومن ضمن هذه المنظمات: المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، برنامج الغذاء العالمي، والأغذية والزراعة (الفاو)، والأمم المتحدة لرعاية الطفولة اليونيسف، والصحة العالمية، و(هلب) الإغاثية الألمانية، والأونروا، واليونسكو، والرؤية الدولية الأمريكية، إيرد (IRD) الأمريكية، وكير الأمريكية، وجمعيات الهلال الأحمر، و(الإيسيسكو) والصليب الأحمر.

العضوية في المجالس:

• ما علاقات التعاون بين الهيئة ومثيلاتها من المنظمات الإنسانية في أنحاء العالم؟

• هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تعد من المنظمات العالمية ذات الانتشار الواسع على نطاق العالم؛ فهي تشارك في عضوية أكثر من (١٦) مجلسًا ومنظمة ومنتدى واتحادًا ومكتبًا وشبكة ولجنة على المستوى الدولي والإقليمي، وعضو فعال في الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة وهيئة الرئاسة لهذا المجلس، وعضو في عدد من اللجان الدائمة بالمجلس، مثل لجنة التعليم والدعوة، ولجنة المعلومات والمتابعة، ولجنة الإعلام والنشر، ولجنة الشباب، ولجنة القدس وفلسطين، واللجنة الإسلامية للمرأة والطفل، ولجنة إفريقيا، ولجنة الفكر والتأهيل، كما أنها ترأس لجنة الإغاثة العامة بالمجلس منذ إنشائه في عام ١٩٨٨م.

والهيئة عضو مراقب في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، وعضو في الجمعية العامة لمؤتمر المنظمات غير الحكومية بالأمم المتحدة ومجلس إدارته بالانتخاب لفترتين، وهي عضو مراقب في منظمة الهجرة العالمية، وهي أول هيئة إسلامية تنال صفة العضوية في هذه المنظمة، كما أنها عضو مؤسس في كل من اتحاد المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي في تركيا، والمكتب الدولي للجمعيات الخيرية والإنسانية في فرنسا، واتحاد المنظمات العالمية لإغاثة العراق، والمنتدى الإنساني العالمي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، ولجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في منظمة التعاون الإسلامي، وعضو مراقب في هذه المنظمة، وكذلك في منظمة الدعوة الإسلامية في السودان.

• ماذا حققت الهيئة من مشاركتها مع هذه المنظمات؟

• اختيرت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية أثناء اشتراكها في مؤتمر البنك الدولي في جمهورية تشاد كأحسن منظمة إسلامية وعربية تعمل في مجال التنمية الريفية، وكواحدة من أفضل المنظمات العالمية التي تعمل في هذا المجال؛ وذلك خلال ورشة العمل التي عقدتها الحكومة التشادية بالتعاون مع البنك الدولي لمعرفة جهود المنظمات العالمية في خدمة التنمية الريفية. وكانت الهيئة هي المنظمة العربية والإسلامية الوحيدة التي تلقت الدعوة للاشتراك في هذا المؤتمر، وقدمت ورقة عمل بعنوان: (تفعيل دور المواطن في تنمية بلاده من خلال الإمكانات المتوفرة من قبل المنظمات العالمية).

• توليتم مسؤولية الأمانة العامة للهيئة منذ مطلع العام. كيف تديرون هذا الموقع؟

• أسأل الله أن يجعلني عند حسن ظن الجميع، ولا يخفى عليكم أن التعامل مع الواهبين والداعمين للخدمات الإنسانية سواء كانوا أفرادا أو أصحاب مؤسسات داعمة أو جهات مانحة أو غيرها من الجهات يعتبر من التحديات في

مجال العمل الإنساني؛ وذلك من خلال تسويق واستقطاب الدعم للمشاريع الإنسانية؛ لما يمثله من تحديات تستلزم تفعيل وتطوير كل أدوات التواصل والشفافية العالية بصورة مستمرة وبكافة الوسائل؛ لإقناع الواهبين بجدوى هباتهم وأثرها على المجتمع أو الفئات المستفيدة منها، وهذا يعتمد -بعد توفيق الله تعالى- على ثقتهم أولًا التي نتعامل معها، بالإضافة إلى نوعية البرامج والمشاريع الإنسانية التي تقدم للفقراء والمساكين والمتضررين بسبب الأزمات والكوارث والحروب التي يمكن أن تسهم في الرفع من المستوى الاقتصادي والصحي والاجتماعي بما يحفظ حقوقهم، ومن خلال تعاملنا مع الواهبين والداعمين فإن جميع المشاريع التي يتم تصميمها تتم بناء على الاحتياجات الفعلية والواقعية والعاجلة، ثم عرض المخرجات المتوقعة من دعمهم للمشاريع بما يلبي رغبات الواهبين، وتضعهم في الحدث أولًا بأول من خلال التقارير (ورقية وفيديو وعبر البريد الإلكتروني) والاتصال المباشر بهم ودعوتهم للمشاركة في برامج ومناسبات ومشاريع الهيئة خارج المملكة، وعمل الزيارات الميدانية للعملاء، ومشاركة الواهبين في مناسباتهم الشخصية بما يرفع من مستوى العلاقة لتكون شراكة واستدامة بكافة الوسائل المتاحة، ومنحهم شهادات الشكر والتكريم في وسائل الإعلام المختلفة، وقد يتحفظ البعض ويحتسب الأمر لله ولا يريد ظهور اسمه ونقدر ذلك.

رؤية متكاملة:

وسوف أسعى في المرحلة القادمة لتنفيذ رؤية الهيئة المتكاملة التي وضعتها وتمثلت في الخطة الإستراتيجية التي من شأنها الارتقاء ببرامجها ومشروعاتها الميدانية من خلال ترميز كل أعمالها الفنية والإدارية، وإعادة هيكلتها على كل المستويات حتى تكون ضمن المنظمات العشر الأُوَل العالمية في مجالات الإغاثة والإعمار والتنمية، إضافة إلى إنشاء مركز للتدريب المتخصص في ميادين العمل الخيري والإغاثي، بجانب تأهيل وتدريب ما لا يقل عن (٥٠٪) من منسوبيها، وإصدار وتطوير اللوائح للحصول على الكفاءات البشرية المحترفة، والحصول على شهادة الأيزو للأمانة العامة ومكاتبها، وتخصيص (٣٠٪) من التبرعات العامة والاستثمارات (غير المخصصة) لصالح برامج الإعمار والتنمية وتسويقها، كما تهدف إلى توزيع مشروعات الهيئة لتغطي ٩٠٪ من المجتمعات المحتاجة، وإنشاء خمسة مجمعات حضارية، وحرصت الهيئة على أن تكون أنشطتها منسجمة مع احتياجات المجتمعات والهيئات الإنسانية الموجودة في الدول المستفيدة.

الإسراع لمناطق الكوارث:

• كيف تواجهون الكوارث التي دائما ما تفاجئ العالم؟ وما الخطوات التي تقومون بها للحاق بمناطق الكوارث؟

• لا شك أن العمل الإغاثي -خاصة الطارئ أو العاجل منه- أصبح علمًا يدرس في الجامعات والمعاهد الدولية، ويتمثل العمل الإغاثي العاجل في أهمية الوصول إلى مناطق الكوارث؛

• ٤٢ مكتبًا لهيئة الإغاثة تنتشر في القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا

سواء كانت هذه الكوارث طبيعية كالزلازل والفيضانات وغيرها، أو كوارث سببها البشر كالحروب والصراعات الطائفية والعرقية، للإسهام في انتشال الجثث والإسعافات الأولية للمصابين، وتوفير المأوى المؤقت للمتضررين، وجمع شتات الأسرة بإلحاق الأطفال بآبائهم وعوائلهم، وإنشاء المرافق الخدمية المؤقتة كدورات المياه ومراكز الإسعافات الطبية الأساسية والكهرباء والمياه، والعمل على المحافظة على البيئة في ظل هذه الظروف حتى لا تنتشر الأمراض والأوبئة الناتجة عن المخلفات. وكل هذه المعايير تتبعها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بِحِرَفِيَّةٍ فائقة.

أهم البرامج والرعايات:

• ما أهم البرامج التي ترعاها الهيئة؟

• انطلاقًا من المسؤوليات الإنسانية لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تجاه الفقراء والمحتاجين والأيتام والأرامل والمطلقات واللاجئين والمهاجرين والنازحين، فقد أنشأت الهيئة العديد من البرامج والرعايات التي من شأنها تقديم العون المادي والعيني والمعنوي لمثل هذه الفئات منها:

• الرعاية الاجتماعية:

تتولى تقديم عطائها الثَّرِّ للأيتام واليتيمات والأطفال المحرومين الذين فقدوا حنان الأب أو الأم أو الاثنين معًا؛ فتقدم لهم الخدمات الصحية والعلاجية والتعليمية، وافتتحت لهذا الغرض الكثير من مراكز الإيواء التي تحتضن العديد من هؤلاء الأيتام، وامتد عطاؤها ليشمل كذلك أيتامًا يعيشون مع أسرهم أو أقربائهم، بجانب عونها الممدود أيضًا لبعض دور الأيتام التي تشرف عليها بعض المؤسسات الخيرية الموثوق بها.

• الرعاية التربوية:

وتُعنى بتقديم العديد من الخدمات التعليمية لأبناء الأسر المحتاجة من خلال دعم وتشغيل وتشييد بعض المؤسسات التعليمية، وكفالة المعلمين، وتقديم المنح الدراسية والإعانات الطلابية، وتأمين الكتب والمقررات الدراسية والوسائل التعليمية والمختبرات والمعامل اللغوية.

الرعاية الصحية:

من أبرز مهامها تقديم الخدمات الطبية والعلاجية، والرعاية الصحية الأولية للفئات المحتاجة من المرضى، وتسيّر الهيئة من خلال هذه الرعاية القوافل الطبية، وتوفّر تطعيم الأطفال ومكافحة الأمراض الوبائية، إضافة إلى إنشاء المشاريع الصحية المتخصصة، وإنشاء وتشغيل وتسيير العديد من مراكز التغذية، وكفالة الكوادر الصحية من أطباء وفنيين

• خطتنا أن تصبح الهيئة ضمن أفضل (١٠) هيئات عالمية في تنفيذ برامج الإعمار والتنمية

وممرضين، وبلغ عدد المشروعات الصحية التابعة لها منذ إنشائها (٢٨٥) مشروعًا ضمت العديد من المستشفيات والمراكز الطبية والمستوصفات ومجمعات للعيادات، وقوافل طبية، وصيدليات وبرامج أخرى لمكافحة العمى، وجراحات القلب، إضافة إلى تعاون الهيئة مع المنظمات العالمية لتنفيذ بعض المشروعات الصحية في الدول الفقيرة.

الإدارة الهندسية:

وتتولى هذه الإدارة تنفيذ المشاريع الإنشائية مثل المساجد في بعض المناطق التي تفتقر لدور العبادة، وحفر الآبار السطحية والارتوازية لتوفير مياه الشرب والري في بعض المناطق التي ضربها الجفاف والقحط، بجانب توصيل شبكات المياه وإنشاء المراكز والمجمعات الإنسانية والمستشفيات ودور الأيتام.

• برنامج القرآن الكريم والتعليم الديني:

هو برنامج يهدف لتوعية المسلمين المقيمين في مناطق نائية؛ حتى يكونوا على إلمام تام وإدراك حقيقي بتعاليم الدين الحنيف، ويسخّر البرنامج لذلك التقنية الحديثة في إعداد المعلمين وتأهيلهم للقيام بهذا الواجب الديني على أكمل وجه، إضافة إلى دعم وتسيير المراكز والحلقات القرآنية، وكفالة المدرسين وتنفيذ الدورات التدريبية وإجراء المسابقات القرآنية.

• الإغاثة العاجلة:

تعد هذه الإدارة العامود الفقري لنشاطات الهيئة؛ لأنها تضطلع بدور ريادي في تقديم المساعدات الإغاثية العاجلة للمتضررين من شتى أنواع الكوارث الطبيعة والحروب على امتداد خريطة العالم، كما تقوم بدور الوسيط بين (المحسنين) و(المحتاجين)، ولها آليات عديدة وحديثة لإيصال هذه المساعدات، ومقدرة فائقة على الوصول إلى مواقع المنكوبين مهما نأت المناطق المتأثرة بالكوارث، كما أنها تُسْهِم أيضًا في توفير العلاج النفسي والجسدي للمتضررين.

التحديات العصرية:

• هناك تحديات عصرية تتمثل في التغيرات البيئية المناخية، فما دور الهيئة في هذا الصدد؟!

• تتعامل هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بأسلوب حضاري ومتطور لمعالجة حالات الجفاف والقحط، وإصابة بعض الأراضي الزراعية بالتصحر الذي يؤدي في كثير من الحالات إلى نشر موجة من الجفاف أو القحط، أو إصابة الأرض في بعض المناطق الموبوءة بالتصحر؛ وذلك من خلال حفر الآبار وتوفير المياه، وتوزيع سِلَال الغذاء عبر حملاتها التي توزع فيها كميات كبيرة من مواد الإغاثة العاجلة لتوفير الغذاء بمختلف أنواعه للمتضررين من الجفاف وسواه من الكوارث التي تعاني منها بعض المجتمعات. ولا تقف الهيئة في حدود تقديمها لهذه المساعدات، بل إنها تطرح بعض البدائل الأخرى لمحاربة التصحر أو القحط أو الجفاف من خلال توفيرها لمياه الشرب والريّ في المناطق التي تقع في المناطق القاحلة وتفتقر لأبسط مقومات الحياة، بجانب بعدها عن كل الوسائل العصرية من مواصلات وغيرها، فتضطر حيالها قوافل الهيئة أثناء عمل مُسُوحَاتِها الميدانية إلى الاستعانة بالدواب البدائية (كالجمال وغيرها) حتى تتمكن من الوصول إلى تلك المناطق وتواجه من أجل ذلك صعوبات جمة.

ونجحت جهود الهيئة في حفر أعداد كبيرة من الآبار الارتوازية والسطحية، وتوفير كميات كبيرة من المياه التي حولت تلك المساحات القاحلة إلى مساحات خضراء أينع فيها الزرع، وامتلأ الضرع، ووفرت الكثير من المحاصيل الزراعية.

الرحلات الإغاثية:

• ما أهم زيارات العمل الميدانية وغيرها التي قمت بها أثناء تقلدك لهذا المنصب؟

معظم زيارات العمل التي قمتُ بها خلال العام الحالي كان من أهم أهدافها الاطمئنان على سير العمليات الإنسانية والإغاثية، والمشاركة في بعض الفعاليات الدولية وتمثيل الهيئة، ولإبرام بعض الاتفاقيات التي تعقدها الهيئة مع بعض المنظمات وغيرها.

وفي كل الحالات فإن العادة المتبعة هي -وبعد الوصول إلى الدول المعنية بصفتي مواطنًا سعوديًّا- زيارة سفارات خادم الحرمين الشريفين، والالتقاء بسعادة السفير. ولا شك أن معظم تلك الرحلات نواجه فيها الكثير من المعاناة؛ خاصة أن مناطق الكوارث تنعدم دائما فيها الكثير من الخدمات والبِنَى الأساسية التي تساعد على التحرك والانتقال من منطقة إلى أخرى، إلا أن الشعور بتقديم الخدمة إلى المحتاجين يزيد من النشاط الذهني والعضلي.

ومن تلك الرحلات المهمة التي جرت أخيراً زيارة جمهورية السودان؛ حيث زرت سفارة خادم الحرمين الشريفين، وشاركت في حفل تدشين توزيع مخصصات الأيتام في مكتب الهيئة في العاصمة السودانية الخرطوم، وبحضور السفير علي بن حسن جعفر وعدد من قيادات العمل الإنساني في السودان.

وبلغ عدد الأيتام الذين استفادوا من هذه الحملة (٤,٧٣١) يتيمًا ويتيمة، وفي أثناء تدشين هذا الحفل تم توزيع بطاقات التأمين الصحي للأيتام؛ حيث تتكفل به هيئة الإغاثة بالتعاون مع الصندوق القومي للتأمين الصحي، وكان ذلك تحت رعاية وزيرة الضمان والتنمية الاجتماعية مشاعر أحمد الأمين الدولب، ومعالي الدكتور عصام أحمد البشير عضو الجمعية العامة للهيئة، والدكتور طلال الفاضل المهدي مدير عام الصندوق القومي للتأمين الصحي، وعددٍ من المسؤولين، واستفاد منها (١٥) ألف أسرة من أسر الأيتام، وهو مشروع وتجربة تنفذها الهيئة لأول مرة. وتلك البطاقة لها فوائد عدة تجاه هذه الأسر التي يمكن من خلالها تَلَقِّي خدماتها الصحية مجانًا بالمستوى الأول في كل المراكز الصحية، وتسري صلاحية البطاقة لمدة عام ثم تُجَدَّدُ سنويًّا ولمدة (٥) أعوام.

وشملت الزيارة أيضًا تدشين حفل توزيع المساعدات للاجئين السوريين في الخرطوم التي تضمنت (١٦٥٠) سلة من السلال الغذائية، واستفاد من هذه المساعدات (٨) آلاف شخص من أبناء وبنات تلك الأسر السورية. وشهدت هذه الرحلة الافتتاح الرسمي لمستوصف الثورة النموذجي التابع للهيئة في مدينة (كسلا) بشرق السودان. ووقَّعَت الهيئة اتفاقية للتعاون مع جامعة كردفان بمدينة الأبيض بغرب السودان في مجالات التدريب ورفع القدرات لمنسوبي الطرفين، وإعداد البحوث والدراسات، وفتح فرص للمنح الدراسية، وإنشاء المركز الإسلامي والمكتبات العلمية بالجامعة، ووحدات صحية ومراكز علاجية.

زيارة إقليم كردستان:

وكانت آخر زيارة للأمين العام للهيئة الإسلامية للإغاثة إلى إقليم كردستان العراق ضمن وفد رابطة العالم الإسلامي بتوجيه من معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، ضم الوفدُ الدكتور سعد الشهراني الأمين العام للهيئة العالمية للعلماء المسلمين، والدكتور عبد الله بصفر الأمين العام للهيئة العالمية للكتاب والسنة للتعرف وتفقد أحوال النازحين من الموصل والمناطق المجاورة لها من إقليم أربيل، وكذلك زيارة

• فرق الهيئة اكتسبت تجارب ميدانية كبيرة وتجدها سباقة أينما حلت الكارثة أو المأساة

اللاجئين السوريين من الشمال السوري (القامشلي)، وتمت زيارة مؤسسة البرزاني الخيرية في كردستان. وشملت الزيارة توزيع ٤٨٠٠ سلة غذائية في المخيمات الثلاثة التي تضم هؤلاء اللاجئين؛ دعمًا من هيئة الإغاثة لهؤلاء النازحين، احتوت على كميات متنوعة من المواد الغذائية.

ومن ضمن المشاركات التي قمتُ بها حضور الاحتفال باليوم العالمي للمياه بجنوب إفريقيا، والمشاركة في الاجتماع السنوي الثاني والأربعين لمجموعة البنك الإسلامي للتنمية بجدة في الفترة من ١٤ إلى ١٨ مايو، وحضور المؤتمر العالمي لرعاية الأيتام تحت شعار «البيانات والاتجاهات في عصر الأزمات والكوارث» في البحرين في الفترة من ١٤ إلى ١٥ مايو ٢٠١٧م، وشاركت في جلسة حوار أقامتها المفوضية السامية لشؤون اللاجئين بشأن تحديد الوضعية القانونية للاجئين، والمشاورات السنوية للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين في جنيف في الفترة ١٣- ١٤ يونيو ٢٠١٧م، وحضور اللقاء الخاص بتقديم إيجاز حول تطورات الأزمات الإنسانية في المنطقة بمقر المكتب الإقليمي للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين بالرياض في ٢٠ يونيو ٢٠١٧م، والمشاركة في ورشة العمل الثانية حول الحوار العالمي للهجرة لعام ٢٠١٧م في جنيف في الفترة ١٨- ١٩ يوليو ٢٠١٧م. لقد كان لهذه المشاركات دور فعال في تأكيد أهمية الهيئة على صعيد العمل الإنساني، وبرز ذلك في المحافل الدولية، حيث وجد التقدير من المنظمات كافة.

حملة للتوعية بـ «الإسلاموفوبيا» في بريطانيا

لندن (يونا)

خصصت بريطانيا شهر نوفمبر للتوعية بظاهرة «الإسلاموفوبيا» بكل المجالات، حيث حرص قادة الجالية المسلمة على دعوة المواطنين البريطانيين إلى المراكز الإسلامية والمساجد وبيوت المسلمين من أجل تبيين حقيقة الإسلام وتعاليمه.

ونظمت الجالية المسلمة فعاليات لرفع الوعي بالتحديات التي يواجهها المسلمون، خاصة بعدما شهد عام ٢٠١٥ ارتفاعا في الجرائم ذات الصلة بظاهرة الإسلاموفوبيا في مدن بريطانية مختلفة.

ولا يختلف وضع الجالية البريطانية المسلمة عن مثيلاتها في باقي الدول الغربية، حيث سجلت ظاهرة الإسلاموفوبيا ارتفاعًا حاداً خلال العقد الماضي بينما أشارت الدراسات العلمية إلى ارتفاعها بنسبة ٣٧ في المئة خلال السنة الماضية.

وتقضي خطة الحكومة البريطانية استباق خطر الإرهاب، بالطلب من المدرسين، وكافة العاملين بقطاع الصحة الإبلاغ عن حالات التمييز ضد الجالية المسلمة. وأظهرت دراسة لوزارة الداخلية البريطانية أنه تم الإبلاغ خلال السنتين المنصرمتين عن ما يقارب ٧٣١٦ حالة.

وقد نوَّه مرصد مكافحة ظاهرة الإسلاموفوبيا في تقريره السنوي إلى أن بريطانيا تشهد تفاقمًا غير مسبوق في ظاهرة التعصب والكراهية ضد المسلمين، التي زادت من حدتها أيضا الأعمال الإرهابية التي وقعت في مدن أوروبية مختلفة خلال سنتين. وسجل المرصد ٣٢٦ حادثة إضافية ضد المسلمين، وتظل النساء الأكثر استهدافاً من قبل متصيدي الكراهية، على رغم المظاهرات الثقافية التي ينظمها القادة المسلمون في البلاد من أجل التوعية بظاهرة الإسلاموفوبيا ومخاطرها.

وعلى مستوى الجالية، شدد قادة الجالية المسلمة على وجود حالة ذعر غير مسبوقة بعد تزايد عدد رسائل التهديد بعد آخر هجومين إرهابيين في مدينتي لندن ومانشستر، حيث تصل المراكز الإسلامية رسائل تهديد بالحمض الحارق.

أول مسلمة محجبة تدخل مجلساً حكومياً في أستراليا

أصبحت الأسترالية من أصول عربية ناديا صالح أول امرأة مسلمة محجبة تدخل مجالس الحكومات المحلية المنتخبة بعد فوز ٤ مسلمين دفعة واحدة، بينهم أول محجبة بعضوية مجلس كانتربيري بونكستاون، أكبر بلدية بعدد السكان والتي تبعد عن وسط مدينة سيدني بـ ١٠ كيلومترات فقط. وشكل فوز المسلمين الأربعة بهذه الانتخابات ضربة كبيرة للقائمين بحملات التخويف من الإسلام و المسلمين.

وأحدثت ناديا صالح مفاجأة كبيرة في أستراليا المتعالية فيها أصوات الداعين لحظر الحجاب، ومنع اللواتي يضعنه من الوصول إلى مناصب عامة، بعدما أصبحت أول مسلمة تدخل المجالس الحكومية المحلية المنتخبة وهي ترتدي الحجاب وسط دعوات من برلمانيين ومجموعات أسترالية لحظر الحجاب ومنع دخول المحجبات والمنقبات إلى المؤسسات والمراكز العامة.

ماكرون: الإسلام لا يبنى بالدمار ومن يروج لذلك فهو "كاذب"

ندد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بـ"الظلامية" التي يلجأ إليها البعض، واصفًا من يريدون الإيهام بأن الإسلام يُبنى من خلال تدمير الآخرين بأنهم "كاذبون".

وقال ماكرون خلال افتتاحه متحف اللوفر أبوظبي في العاصمة الإماراتية أبوظبي، في كلمة أمام عدد من كبار الشخصيات في العالم العربي والإسلامي: "إن الذين يريدون الإيهام في أي مكان في العالم بأنّ الإسلام يُبنى بتدمير الديانات التوحيدية الأخرى هم كاذبون ويقومون بخيانتكم".

ووصف الرئيس الفرنسي المتحف بـ"التحفة المعمارية"، متوجهًا إلى المهندس جان نوفيل بالقول: "لقد بنيت معبدًا للجمال".

واعتبر ماكرون أن الإمارات التي تستضيف متحف اللوفر أبوظبي "متحف الصحراء والضوء"، تشكل "نقطة التوازن بين القارات الأوروبية والإفريقية والآسيوية".

وتحدث عن الفنانين الذين حمل التاريخ بصمتهم، ووصفهم بأنهم "نبذوا الغباء" و"آمنوا بالعقل في مواجهة الفكر الظلامي".

كما تطرق الرئيس الفرنسي إلى "معركة الإنسان ضد خطاب الكراهية"، مضيفًا: "هنا تبدأ معركة جيل من شبابنا".

فرنسا تعيد العمل بنظام الأطعمة البديلة عن لحم الخنزير فى مدارسها

المصدر: تايمز

ألغت محكمة فرنسية قرارا محليا سابقا يحظر على مطاعم المدارس في مدينة شالون سور ساون، شرق البلاد، إعداد أطعمة بديلة عن تلك التي تحتوي على لحم الخنزير ومنتجاته.

وبهذا القرار، حققت الجمعية المسلمة للدفاع القانوني انتصارا في مقاضاتها عمدة المدينة المذكورة، جيل بلاري، الذي وضع التلاميذ في عام ٢٠١٥ أمام الخيار: إما تناول لحم الخنزير في المطاعم المدرسية أو المعاناة من الجوع.

وأقرت المحكمة الإدارية في مدينة ديجون بأن هذا القرار يخالف حقوق التلاميذ المسلمين واليهود بموجب الاتفاقية الدولية لحقوق الأطفال.

مساجد ألمانيا تفتح أبوابها في يوم المسجد المفتوح

ألمانيا: وكالات

فتحت المساجد في ألمانيا أبوابها في الثالث من تشرين الأول/ أكتوبر أمام الزائرين من كل الديانات في فعاليات (يوم المسجد المفتوح). شارك في فعاليات هذا اليوم نحو ألف مسجد في جميع أنحاء ألمانيا، بهدف تعريف غير المسلمين بالإسلام، وجاءت تحت شعار «الهجرة تحديات وفرص» نوقشت فيها قضية تشغيل اللاجئين.

يجري تنظيم هذه الفعالية كل عام في ذكرى توحيد شطري ألمانيا ، وتشمل جولات داخل المساجد وحلقات نقاش ومحاضرات.

وتجدر الإشارة إلى أن المجلس المركزي للمسلمين، الذي بدأ تلك المبادرة عام ١٩٩٧، اختار عن قصد تنظيم فعاليات هذا اليوم بالتزامن مع عيد الوحدة الألمانية، للتعبير عن عمق ارتباط المسلمين مع كافة الألمان.

كيف نحمي شباب الأقليات المسلمة في الغرب من التطرف؟

هذه هي الظروف التي تدفع هؤلاء الشباب إلى تيارات التطرف في الغرب

أدار الندوة: د. عثمان أبوزيد ـ أ. عبد الله الطياري

نظمت مجلة الرابطة ندوة صحفية في أيام الحج بمشعر منى، موضوعها: كيفية حماية شباب الأقليات المسلمة من التطرف وتوجيه حماستهم الدينية نحو الأمور المفيدة. وقد انتهزنا فرصة وجود مختصين من مناطق مختلفة في العالم، فأحببنا الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، ونقلها إلى قرائنا الكرام.

شارك في الحديث ثلاثة من الأكاديميين والخبراء من دول غربية هي المملكة المتحدة وأستراليا وبلجيكا، هم:

ـ الأستاذ صباح المختار رئيس اتحاد المحامين العرب في المملكة المتحدة.

ـ الأستاذ كامران شفيع رئيس مركز إسلامي ومحاضر في جامعة (نيو ساوث ويلز) بأستراليا.

ـ محمد توشكاني رئيس رابطة الأئمة في بلجيكا.

تقديم:

قدم للندوة رئيس تحرير مجلة الرابطة د. عثمان أبوزيد منوِّها إلى اهتمام المجلة بقضايا الشباب انطلاقاً من أهداف رابطة العالم الإسلامي التي نظمت من قبل مؤتمرات عالمية متخصصة عن الشباب. وأشار إلى أن المؤتمر العالمي الإسلام ومحاربة الإرهاب الذي أقامته الرابطة في جمادى الأولى عام ١٤١٦هـ قد أصدر توصيات من أهمها الانفتاح على الشباب بالحوار والنقاش والتباحث معهم في مشكلات الحياة المعاصرة، وإشراكهم في حل قضايا مجتمعهم، وصولا إلى التفكير السليم. ومن التوصيات زيادة

توعية الشباب وإيقاف نشر ما يستفزهم من تطاول على الكتاب والسنة والقدح في العقيدة الإسلامية، وما يستفزهم أيضًا فيما يتعلق بالأخلاق والآداب العامة.

وقال إن الندوة تتناول الظروف الموضوعية التي تدفع ببعض هؤلاء الشباب - وليس كلهم - للخروج عن دائرة الاعتدال...

" نريد منكم أولاً تشخيص القضية ومعرفة الواقع الحالي لشباب الأقليات المسلمة وحجم المشكلة. وهل توجد خبرات اجتماعية تتفهم هذا الواقع لحماية الشباب من الانزلاق والانحراف الفكري؟

ونبدأ ندوتنا بتقديم الأستاذ صباح المختار رئيس اتحاد المحامين العرب في بريطانيا

ونعرض المحور الأول كالآتي:

ما هي الظروف الموضوعية التي دفعت هؤلاء الشباب للانحراف؟ هل هي جوانب أسرية أم جوانب تتعلق بالتعليم ..أم هم تأثروا بالبطالة ؟ أم كان للاغتراب تأثير نفسي على هؤلاء الشباب؟

صباح المختار رئيس اتحاد المحامين العرب في المملكة المتحدة:

أولا .. الشكر لرابطة العالم الإسلامي لدعوتها لنا لأداء مناسك الحج للعام ١٤٣٨هـ ، فالحج مناسبة مهمة في حياة أي فرد في الأمة ... وشكراً على دعوتكم أيضا للمشاركة في هذه الندوة الصحفية.

وللحديث في هذا الموضوع .. أعتقد أنه قد يكون من المفيد أن نتطرق في دقائق قليلة إلى توضيح مفهوم الأقليات .. لأن هناك أقليات مسلمة تعيش في الدول الغربية في أوروبا وأمريكا، وهناك أيضا أقليات تعيش في الدول غير الأوروبية مثلا في شرق آسيا وفي إفريقيا وغيرها من المناطق ، وهذه الأقليات الموجودة في آسيا وإفريقيا قد تكون غير متطرفة، وإنما المجتمع الذي تعيش وسطه هو الذي يمارس التطرف ضدها.

وهذا الأمر هو محاولة لفهم أوضاع تلك المجتمعات، حيث تكون الجالية المسلمة أحيانا مهدِّدة للأمن الوطني إذا اعتبرت أنها انفصالية.

وأتناول في حديثي هنا وضع الأقليات المسلمة في بريطانيا كمثال، لأن الدول الأوروبية تختلف إحداها عن الأخرى.

في تصوري أن الدافع لدى الدول الغربية أصلاً مع الأسف هو العداء مع الإسلام لأن هناك تناقضاً في تقديري بين الإسلام والغرب، والمفروض ألا يصل هذا التناقض حد الصدام. ولكن هناك تناقضاً وتعارضاً في المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى قضايا السياسة الخارجية كفلسطين وغير ذلك من الأمور.

أولاً الغرب أصلا لديه مشكلة مع الإسلام كمبدأ. ثانياً إن هناك عددًا من المسلمين ارتكبوا أعمالاً إرهابية تهدد الأمن الوطني في بريطانيا، لذلك صدرت تشريعات كثيرة لمكافحة الإرهاب. وكان الأمر في البداية يتعلق بموضوع مكافحة الإرهاب والعنف ثم انتقلت التشريعات بعد ذلك من مكافحة الإرهاب إلى مكافحة الحث على الإرهاب. وهناك فرق بين الإرهاب والحث عليه، لأن هناك عملاً، في حين هنا فكر، أو كلام أو كتابة. ثم انتقلت بعد ذلك التشريعات من موضوع مكافحة الإرهاب والحث عليه إلى مكافحة التطرف. ومعروف أن التطرف هو مفهوم واسع، ففي بريطانيا مثلا حينما حاول البرلمان أن يشرع قانون مكافحة التطرف أثيرت مناقشات متعددة حول تحديد ما هو مفهوم التطرف؟كيف تحدد أن الإنسان متطرف أو غير متطرف؟

ونقول هنا إنه بالنسبة إلى الجيل الجديد من الشباب المسلم في هذه الدول الغربية، هناك دوافع متعددة للتطرف، منها الدوافع الاقتصادية والدوافع العلمية العائلية والدافع العنصري. وهناك التشريعات المناوئة للمسلمين، وموضوع السلوك العام تجاه مسلمي المنطقة، إضافة إلى المواقف السياسية الرئيسية للغرب حول قضايا مثل فلسطين وأفغانستان وسوريا إلى آخره.

وهذه العوامل قد تكون أي واحدة منها أو كلها مجتمعة سبباً في دفع الشباب لهذا التطرف. لذلك أعتقد أنه يجب علينا أن نركز فقط على الشباب الذين لديهم دافع ديني يقود إلى التطرف لأن هناك دوافع مختلفة أخرى قد تكون دوافع اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو حدوث اختلال عقلي وغيرها.

يوجد شباب من المسلمين يدخلون فيما يسمى بـ (التطرف) .. والمشكلة أن التطرف والعنف الموجود حالياً في الحقيقة لا يقتصر فقط على الشباب ولا يقتصر فقط على المسلمين. وكما رأينا في كثير من الحالات أن هناك مسيحيين دخلوا في مجال التطرف حتى مع المسلمين، فهناك مقاتلون كالفرنسيين والإنجليز وغيرهم شاركوا في القتال في سوريا وهم غير مسلمين.

هل تعنون بذلك اليمين المتطرف (*Right Extremism*)؟

بل أعني المجموعة التي تأخذ موقفًا معادياً للمسلمين، وهم جزء من السبب الذي يؤدي إلى ردود فعل تجاه هذه المجموعة.

فالقصد من الفكرة الأساسية التي أريد أن أقولها إن هناك أسبابًا أدت إلى المشاكل التي يقع فيها الشباب المسلم. وأنا أقصر حديثي فقط عن الذين لا يكون الدافع الوحيد أو الدافع الرئيسي لديهم هو الجانب الديني.

دعنا نتوقف عند هذا الحد حتى نعطي الفرصة للآخرين ويكون الكلام سجالا بين المشاركين الثلاثة ... وننتقل إلى الأخ الأستاذ كامران شفيع وهو رئيس مركز إسلامي ومحاضر في جامعة (نيو

ساوث ويلز) بأستراليا ليحدثنا عن الوضع في أستراليا. ونريد منه تحديداً أن يحدثنا عن الأسباب التي تدعو الشباب في الأقليات المسلمة إلى التطرف، بالتركيز على أستراليا.

الأستاذ كامران:

أود في البداية أن أتقدم بالشكر الجزيل لرابطة العالم الإسلامي التي نظمت هذه الندوة، وأتحدث عن تجربة الأقلية المسلمة في أستراليا، فإذا أردنا أن نقارن الأوضاع في أستراليا ببلدان عدة أخرى نقول ولله الحمد إننا في أستراليا بخير كثير، وقد يرجع ذلك إلى العدد القليل من المسلمين في أستراليا حيث عددنا مليون ونصف المليون نسمة من بين ٢١ مليون نسمة هم سكان أستراليا. وهذا الأمر يقتضي منا الشكر ولله الحمد، حيث لا توجد عندنا مشاكل كثيرة تذكر.

أعتقد أننا نحتاج إلى إجراء دراسات متعمقة أكثر لكي نصل إلى صلب هذا الموضوع وفك رموزه، وأعتقد أنكم ذكرتم ذلك في مقدمتكم حيث إنكم قلتم في سؤالكم الذي طرحتموه علينا .. ما هي الأسباب التي تدفع هؤلاء الشباب إلى اتخاذ مثل هذه التوجهات؟

أعتقد أنه على سبيل المثال يوجد أمر واحد وواضح جدًا جدًا وهو أن أستراليا تتألف من المهاجرين من جميع دول العالم، وبالتالي كما تعرفون أن أساس تكوينها هي الهجرة الخارجية. وكما تعلمون عندما يجد الإنسان نفسه في أستراليا يسيطر على ذهنه كيفية الحصول على لقمة العيش وبالتالي فإن كلا الأبوين مشغولان جدا في بناء الأسرة وتوفير لقمة العيش والحياة الكريمة لأبنائهما. هذه المشغولية تقود إلى أن الأسرة تبقى بدون توجيه. ولا يوجد في العائلة من يكون متفرغاً لتوجيه باقي الأسرة نحو الطريق الصحيح خاصة الأطفال الذين يحتاجون إلى توجيه متواصل.

لا يوجد أي دعم على مستوى العائلة أو على مستوى المجتمع طبعًا، كما لا توجد سيطرة من العائلة على أفرادها. فعندما يخرج الشباب إلى معترك الحياة لا يجدون أي رادع ويتعرضون لتيارات مختلفة، وبالتالي يفقدون التركيز مع غياب النصح والتوجيه.

وللأسف الشديد هناك أسباب أخرى هامشية تنتشر وسطنا نحن المسلمين في المهجر حيث نتحدث عن أشياء تافهة جدا، ونتعرض لبعضنا البعض هذا من طائفة كذا، وهذا من غير شيعته وبالتالي يتشتت المسلمون فرقاً وطوائف.

وأشاطر أخي الأستاذ صباح المختار رئيس اتحاد المحامين العرب في المملكة المتحدة في أن المجتمع الإسلامي في الغرب يواجه التهميش وبالتالي لا يستطيع فعل أي شيء، والشباب المسلم عندما يرون ذلك التهميش يعدونه ظلمًا وعدم عدالة، تجاههم وهم لا يستطيعون تغيير هذا الوضع، وكل المساوئ ترميها هذه المجتمعات على أكتاف المسلمين.

وماذا يقول الأستاذ الكريم من بلجيكا الشيخ محمد توشكاني، رئيس رابطة الأئمة فيها، بلجيكا طبعا من الدول النادرة التي تعترف بالإسلام كديانة، لكن ظاهرة التطرف بدأت تنتشر وتأخذ أبعاداً أخرى فيها .. فنريد أيضا أن نعرف ما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع؟

صباح المختار

محمد توشكاني رئيس رابطة الأئمة في بلجيكا:

جزاكم الله خيرا وأحسن إليكم، أجدد شكري لرابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية وأجدد الشكر على هذه الندوة المباركة التي تعالج إشكالية معقدة تحتاج إلى عناية مركزة ... أرجو الله تعالى أن يعيننا على فهم بعض خيوطها من أجل أن نتوصل إلى طرح بعض الحلول المناسبة لها والعمل على إيجاد تلك الحلول.

طبعا المملكة البلجيكية هي من الدول الأوروبية التي تعترف بالدين الإسلامي والاعتراف يلزمها قانونيا ودستوريا، بتمويل شعائر هذا الدين، كما تمول شعائر بعض الأديان الأخرى التي تعترف بها رسميا. وفي إطار هذا الاعتراف الذي كان فعلا سببه رد الجميل للملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى- حيث اتخذ مواقف إيجابية تجاه بلجيكا وقدم لها مساعدة عندما كانت بلجيكا تعاني من أزمة معينة. فمن باب رد الجميل، اعترفت بلجيكا بالدين الإسلامي. وهنا ترى الإحسان يؤثر في النفوس ويلين القلوب، فهذا عمل يحسب للملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى. وهذا الاعتراف أدى إلى قيام جهة تمثيلية للمسلمين هي التي تتخاطب مع الجهات الرسمية. وأوكلت هذه المهمة مؤقتاً إلى المركز الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي هناك، وهو المسجد الكبير ببروكسل، فأصبح الناطق الرسمي والمحاور نيابة عن المسلمين مع الجهات الرسمية، إلى أن تم انتخاب هيئة تنفيذية من قبل المسلمين تحت إشراف الدولة ومراقبتها، وصارت هذه الهيئة تمثل المسلمين إداريا لا دينيا، إداريا فيما يتعلق

بقضايا التعامل مع الجهات الرسمية، لأن المبدأ الذي تعتمده بلجيكا هو فصل الدين عن الدولة، وبالتالي لا يمكن المزج في هذه الأمور.

وتطلب هذا التطور ضرورة تمويل الشعائر الدينية والصرف على من انتدب من معلمين وأساتذة للتربية الإسلامية في المدارس الرسمية البلجيكية الابتدائية والثانوية. وقد تكفلت الدولة بدفع مرتبات هؤلاء المدرسين والمعلمين. وكان يتم تعيين هؤلاء الأساتذة والمعلمين من قبل المركز الإسلامي سابقاً ، والآن يتم تعيينهم من قبل الهيئة التنفيذية، وتوجد هيئة خاصة للتفتيش للتربية الإسلامية، من خلال دليل محدد ويجرون الاختبارات لتعيين الأستاذ أو المعلم.

تعرقلت كثير من الأمور في هذا المجال وتباطأت في قضايا أخرى من مستلزمات الاعتراف بالدين الإسلامي، ومن بين الأمور التي تعرقلت الاعتراف بالمساجد والأئمة إلا أن بلجيكا بدأت منذ خمس سنوات تقريبا في الاعتراف بالمساجد والأئمة. وعندما يتحقق الاعتراف بالمسجد يعني ذلك الاعتراف بإمامه وتتكفل الدولة بمرتبه، وهذه الأمور تابعة لوزارة العدل وليست لوزارة الداخلية.

ثم تصنف المساجد إذا كان المسجد صغيراً يحتاج إماماً واحداً، أو متوسطاً ويحتاج إلى إمامين. أما إذا كان كبيراً يحتاج إلى ثلاثة أئمة، وهؤلاء مرتباتهم تتولاها الدولة. وتحديد حجم المساجد يتم بعدد المستفيدين. ويحسب المسلم وأسرته ولو كانوا أطفالاً صغاراً وبذلك يكون التعداد بحسب من يستفيد من المسجد.

مخاوف من التيار العنصري:

يضيف الشيخ محمد توشكاني: بدأت المخاوف تتصاعد من قبل بعض الأحزاب العنصرية، حيث بدأ التيار العنصري في النمو في أوروبا بصورة عامة، كما تفضل الأستاذ كامران شفيع، وأعجبني تقديمه وتحليله للموضوع.

الآن هذا التيار العنصري بدأ ينمو ويتولى تسيير الشأن العام، فبدأت المطالبة بإعادة النظر في الاعتراف بالدين الإسلامي. ويستغل اليمينيون أي توترات تقع أو أعمال عنف أو تطرف ليتم توظيفها للضرب على الإسلام وللقدح فيه، وللمزج بين تصرف الفرد الذي هو من أصول إسلامية وعربية، حتى ولو لم يكن من المصلين ولا من عمار بيوت الله ولا ممن لهم صلة بالمساجد ما دام أنه عربي وما دام أنه ينطق العربية أو يدعي أنه مسلم.

أي عمل يقوم به سواء كان في المجال الإجرامي أو في مجال الإرهاب أو في مجال العنف والتطرف فهو بالنسبة للتيار العام في أوروبا يتم ربطه بالإسلام. وهذا شيء مقصود من أجل تشويه سمعة الإسلام وتنفير الأوروبيين منه، نظرًا لكثرة الإقبال على هذا الدين بشكل منقطع النظير، إقبال كبير جدا يحدث حالياً. وكلما اشتدت الحملة على الإسلام بطريقة أو بأخرى، ازداد عدد الراغبين في الدخول في الإسلام. مثلا محاولة تشويه الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم كان سبباً في نفاذ جميع الكتب التي تتحدث عن السيرة النبوية باللغات المترجمة.

كامران شفيع

هناك إقبال عجيب ودائم، فالمهم باختصار حتى لا أطيل عليكم. هذا الوضع بشكل عام سمح للمسلمين بإقامة المساجد وتأسيس المدارس الخاصة تحت إشرافهم والمعترف بها من قبل الدولة.

مثلا نحن في مسجدنا عندنا مدرسة ابتدائية، والسنة المقبلة إن شاء الله تكون لدينا مدرسة ثانوية، والدولة هي التي تمول المدرسين، والإشراف عليها يتم من قبل المسلمين. والمنهج الرسمي للدولة الذي يعتبر برنامجاً أساسياً لا بد أن يدرس، وفي المنهج الثانوي تقدم دروس تتعلق بالإسلام وبالتربية الإسلامية.

دوافع التطرف:

ويستفيض الشيخ محمد توشكاني رئيس رابطة الأئمة في بلجيكا بالحديث فيقول:

انخرطت أعداد من الشباب في تيارات التطرف. ظهر ذلك جلياً في الأحداث الأخيرة التي ضربت بلجيكا في مطار بروكسل وكذلك في المترو، ولكن ما هي الأسباب التي أدت بهؤلاء الشباب إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال في المجتمع البلجيكي؟

المعروف أن المجتمع البلجيكي في حد ذاته مجتمع مسالم، وبلجيكا دولة تتكون من عدة عرقيات مختلفة. والمسلمون فيها موجودون في مختلف المستويات والمهن والوظائف ، حيث لدينا في البرلمان البلجيكي أكثر من ثلاثة عشر مسلم من أصل مغربي بالإضافة إلى عدد من النواب المسلمين الأتراك، ونائب رئيس البرلمان من أصل مغربي، يتبع لأحد التنظيمات، وجميع الأحزاب السياسية تخطب ود المسلمين من أجل أن يزيدوا من عضويتها.

و لكـــن في مقابل ذلك كله نرى في التعامل المجتمعي؛ هناك تمييز ضد المســلمين، إذا كان لونك أســود، أو لديك لحية .. لا تقبل في أوســاطهم. وقد تبحث عن العمل العــادي، وتمتلك كل المؤهلات ولكن لا تقبل.. ويحدث تهميش خطير جدا.

أمر آخر وهو ربما هو أعمق من ذلك هو شــعور الأقلية المســلمة أنهم مواطنــون من الدرجة الثانية، حيث لا يحصلون على جميع حقوقهم، مهما حدث، وزخرف الإعلام والسياسيون حديثهم بأن العدالة الاجتماعية موجودة والمساواة كاملة.

مثلا هذا الشــعور يعاني منه التلميذ من أســلوب التعامل في المدرسة في المرحلة الابتدائية أو في الحضانة أو في الثانوي. ويشــعر العقلاء والأذكياء أن هناك برنامجاً ومخططاً مرســوماً حتى لا يصل أحد من أبناء المسلمين إلى المستويات العالية في الدراســة. فبمجــرد أن يصل الطالب إلى مســتوى معين يتم توجيهه إلى الأعمــال المهنيــة ويحــال بينه وبين الدراســات الأخرى. وبالتالي يبدأ الأطفال في فقد هويتهم حينما يشــعر أحدهم بأنــه مهمش وليــس مواطنــاً بلجيكياً، ورغم أنــه يحمل الجنســية البلجيكية، يشــعر بأنه لا يعامــل كمواطن بلجيكي مائة بالمائــة. ويزيد الطين بلة عندما يرجع إلى بلاده ولو في عطلة صيفية، لزيارة أقاربه، فيشــعر بأنه في بلده الأصلي الذي هو بلد أبيه وجــده أنه أيضا مهمش ويعامل كزائر. هذه نقطة مهمة جدا، لأن هؤلاء لما رجعوا للدراســة في بلادهم الأصلية أحسوا بأنهم يعيشون تقريبًا مشكلة أخرى في الاغتراب في بلدهم.

وما حدث في إحدى الدول العربية أن عدداً من أبناء المغتربين الذين رجعوا للدراســة فيها انضموا إلى هذه الحركات الإرهابية، فهذه النقطة مهمة جدا وملاحظة جديرة بالاهتمام.

انفصال الهوية هو ما يعمق المشــكلة، وهو يعني فقدان الهوية ويؤدي إلى ما يشبه انفصام الشخصية.

حجم مشكلة التطرف:

المحور الثانــي: الذي أردنا أن نتحدث فيه .. ما هو حجم المشــكلة وأبعادها وأكثر الأقليات تعرضًا لها؟

لو تكرمتم مشكورين بالمشاركة في الحديث فيه، الأساتذة الثلاثة، ولا بــأس أن نتحدث فيها بشــكل مفصل ... نحــن أمام ظاهرة خطيرة، وأي ظاهرة توصف بالخطيرة وإن كانت نسبتها قليلة في مجال مثل التطرف والمخدرات، ذلك عندما ندرس الظاهرة إحصائيا حتى ولو كانــت أقل من واحد في المائة فهــي خطيرة. إن ظهور (ميكروب) لأي مرض معدٍ مثل الكوليرا ولو يكون في مريض واحد ينذر بخطر عظيم، فما هو حجم هذه المشــكلة؟ وهل يتصاعد هذا الأمر؟ أم تشــعرون في البلاد التي تقيمــون فيها، أنها ذاهبة للانحدار والانتهاء؟

البحث عن كبش فداء:

الأستاذ صباح المختار رئيس اتحاد المحامين العرب في المملكة المتحدة:

محمد توشكاني

أولا: أظــن أن الأزمة في تصاعــد، وأعتقد أن ســبب التصاعد أن المجتمعــات حينما تحصل لديها مشــاكل فــي الداخل تحاول العثور على كبش فداء، ومن هو أسهل من الأجنبي وإن كان يحمل الجنســية ويتكلم لغة الدولة، وأيضاً لدينا الجيل الثاني .. الآن ليــس فقط الجيل الأول، عنــدك المهاجرون وعندك الأجانب مــن بعدهم. الأجانب هذه بالنســبة لهم الاســم واللون والشــكل والهوية، كون الدين يختلف، هذه تجعلهم مميزين عن المجتمع وبالتالي هم كبش الفداء.

فأنــا أظن أن هذا الأمر يســير نحو الأســوأ ما دامــت الأوضاع الاقتصادية تســتمر في هذا التردي. وكذلــك الأعمال الإرهابية أو الأعمال التي تســيء، وليس بالضــرورة أن تكون هناك أعمال إرهابية... الآن المجتمع يحاول أن يســلط أضواء أكثر مما يجب على أصغر الأحداث.

من الأشــياء التي لا ترتبط بالإســلام ولكنها تصبح وســيلة... هناك مثلا في بريطانيا لدينا مجالس التحكيم في الخلافات التي تســمى المحاكم الإســلامية التي تقوم من خلال قانون التحكيم البريطانــي، ليس هناك شــيء خارجي، لكن تجــد في الصحافة الإنجليزيــة من يتحــدث عن ماذا يجري في مجتمع المســلمين ... يقولون إن المســلمين الآن صارت لهم حتى محاكم مســتقلة، وطبعاً هذا تحكيم الشريعة الإسلامية.

و إذا زادت حــوادث الإرهــاب أو الخلافــات السياســية الخارجيــة والصدامات بين الدول الغربية والدول الإسلامية لأسباب مختلفة، وهي أشــياء ممكن أن تحصل؛ ســواء حروب أو نزاعــات أو صراعات سياســية بين الدول، بحيث تصبح هناك حالة صدام، هذه كلها أسباب ترفع من مستوى العداء ضد الجالية المسلمة.

غياب المعرفة بالدين الإسلامي:

قلت إننا سنأتي إلى المحور الخاص بالمعالجة بعد هذا التشخيص الذي تفضل به أستاذنا الفاضل صباح المختار، ونريد من الدكتور كامران أن يتحدث بتفصيل عن جانب المعالجة.

الدكتور كامران شفيع:

في أستراليا بالذات الآن بدأت تأتينا بعض الأخبار أن هناك سيدة في البرلمان جاءت وهي تغطي رأسها وتحدثت عن الحجاب الإسلامي بسخرية شديدة وأنه خطر على مجتمعهم.

ولكن انقلب السحر على الساحر، فمع أنها فعلت ذلك لتشويه المسلمين بطريقة سيئة جدا، فإن عضواً آخر في البرلمان الأسترالي أبطل حجتها ودافع عن الأقلية المسلمة ودورها في حماية المجتمع الأسترالي حتى إن البرلمانية شعرت بالخزي، ويظهر هذا في صورتها في الفيديو.

وأي فعل متطرف يقوم به إنسان يكون له مردود سيء على المجتمع الإسلامي لأنهم يسعون دائما كما قلت في السابق أن يكون المسلمون خارج السرب.

تضخيم الأمور دائما يحدث في أستراليا.. وليس لدينا مشاكل كثيرة إلا أن المجتمعات السياسية هناك تنفخ في أي حدث ليكون أكبر من حجمه.

لا شك المشاكل تختلف، ولو أردنا أن نتحدث على سبيل المثال عن الآثار السلبية التي تقع، قد تكون صغيرة جدا بالنسبة للمجتمع الإسلامي هناك في أستراليا، فمثلاً هناك مدارس تفتقد الجوهر الأساسي لحل مشكلة التطرف ألا وهو المعرفة بالدين الإسلامي حيث لا يوجد هناك دعم للمجتمع الإسلامي، وتوجد على سبيل المثال مدارس ومعلمين، بسطاء ولكن من يديرهم غير مسلم لمتابعة ما يجري في المدرسة وأين تسير الاتجاهات.

تشريعات وقوانين مستفزة:

أستاذ محمد توشكاني هل عندك أيضاً تقييم للواقع؟

ونحن نسأل بالنسبة لحجم المشكلة في بلجيكا ... هل هو في تصاعد؟

محمد توشكاني:

بالنسبة لمشكلة التطرف أرى أنها تتصاعد وتتفاقم، وهي في سبيلها إلى الوصول إلى وضع أخطر مما قد يتصور. أنا لا أقول ذلك يحدث فقط في بلجيكا. هناك تصعيد من الجهات السياسية بإصدار قوانين تضيِّق على المسلمين، وبالتالي هذه التصرفات من الجهات الرسمية بهذا الشكل، تعطي مسوغًا ومبررا للتيار المتطرف الإرهابي ليوظف هذه المواقف، لاستمالة الشباب عاطفيا، ليكون لهم موقف وردة فعل انتقامي.

لو أردت ذكر بعض الأمثلة من الأشياء التي تعطي زخماً وتقوي التطرف نجد أحيانا عندما يقع هجوم على أحد المساجد من قبل المتطرفين اليمينيين من الأوروبيين لا يصفونه بالإرهاب، ولا يقولون عن تصرفهم بأنه تطرف، ولكن يقال هذا الإنسان عنده خلل عقلي. وهناك أسلوب وتوظيف الأحداث التي تقع من مسلمين فتتعمد وسائل الإعلام بتضخيمها. وحينما يصدر فعل أكبر من قبل مواطن أصلي، هنا تتحدث عنه وسائل الإعلام بشكل باهت، هذا أمر يحدث كثيراً.

عمر أبو بكر التهامي

أيضاً إصدار التشريعات والقوانين المستفزة مثل قوانين تتعلق بمنع الحجاب في المدارس تدفع بعض الشباب إلى الانضمام إلى المنظمات المتطرفة.

الحجاب هو مجرد متر أو أقل من نصف متر على رأس الفتاة هي التي اختارته لنفسها، ويعلقون لماذا تلزمون بناتكم بتغطية رؤوسهن .. وهم الآن يلزمونهن بتعرية رؤوسهن إذن كيف تنكرون الإكراه، وتكرهون كذا، والآن يحاولون إصدار قانون لمنع الذبح الإسلامي إلا بعد التدويخ، أيضاً التضييق على المسلمين في قضية العيد. الآن في بلجيكا على سبيل المثال سنة من السنوات لم يذبح المسلمون في كثير من المناطق بسبب فرض التدويخ قبل الذبح، يعني هناك تنام لمثل هذه المواقف المتشنجة بين الأطراف المختلفة.

أنا أتحدث الآن عن خطورة حجم المشكلة، فعلا حجم المشكلة صعب، أحيانا المرأة المسلمة في لباسها تشعر في الشارع أنها خائفة على نفسها، بسبب تصرفات بعض المتطرفين أيضا وردود أفعالهم.

هناك عدة لقاءات تمت على مستويات مختلفة، وكنت من الممثلين للأئمة في حضور بعض اللقاءات، فذكرت في لقاء في الوزارة أنه بالنسبة للجيل الأول الذي أتى من البلدان الإسلامية واستقدموه للعمل وعمل وأنتج وساهم في حضارة الدولة، هل عندكم مشكلة من هذا النوع مع هؤلاء؟ قالوا لا، قلت طيب هؤلاء الذين صارت لهم مشاكل وصاروا ينتقمون من المجتمع أين ترعرعوا؟ وأين كبروا؟ وأين تعلموا؟ لماذا عندما يكون واحد من أصول عربية إسلامية في بطولة من البطولات الرياضية وهو

متجنس يذكرونه باسم جنسيته الثانية، هذا فرنسي وهذا بلجيكي ولكن إذا فعل أحد فعلة معينة من أصول إسلامية وهو متجنس ينسبونه إلى أصوله. هذا يعني أن هناك إرادة مبرمجة لتشويه الإسلام ومضايقة المسلمين من أجل الحد من دخول الأجانب إلى الإسلام، هذا شيء لا بد أن ندركه، لكن مع هذا لا يمكن أن نقف ولا بد أن نبحث عن العلاج.

ما هي الحلول لمشكلة التطرف؟

الجزء الأخير من حوارنا الشيق هذا جزاكم الله خيرا، هو الكلام عن الحلول التي وضعت للتعامل مع هذه المشكلة، ولا شك أن كل مجتمع وأقلية مسلمة أيضا لها خبراتها التي تستطيع أن تقدمها للآخرين في مجال الحلول. بعض الجهات قالت إن الإشكال بسيط جدا، اخرجوا من الإسلام واندمجوا كلياً في المجتمع الجديد وينتهي الإشكال. أنا كتبت مقالاً في مجلة الرابطة في نسختها الإنجليزية، وهو عرض لكتاب (ورددت الجبال الصدى) لمؤلف من أصل أفغاني يتكلم عن أن جنياً كان يأتي ليختطف أبناءهم ليخفيهم في الجبال، وهذه رمزية تمثل صورة أن الأبناء يذهبون ولا يأتون. هذا حل للإشكال، لكن بالنسبة لنا نحن المسلمين، ليس هذا هو الحل المطلوب أن نتخلى عن أبنائنا، الحل هو أن نتعايش مع هذا المجتمع ونصبح جزءاً منه ولكن في إطار هويتنا وأصالتنا، فكيف نفعل ذلك؟ وكيف فعلتم هذا في بريطانيا بالنسبة للإشكالات هذه، والسؤال موجه للأستاذ صبح المختار.

موضوع الذوبان والاندماج:
الأستاذ صباح المختار رئيس اتحاد المحامين العرب في المملكة المتحدة:

بالنسبة للمجتمعات الإسلامية يحاول المسلمون جهد الإمكان الاندماج في مجتمعات الغرب، مثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية هناك مجتمع مهاجرين .. الجميع فيه جاؤوا من الخارج، والترتيب هو أن يصبح الجميع أمريكيين. هذا الأمر لا ينطبق على أوروبا، لأن في أوروبا كل دولة يوجد فيها سكانها الأصليون بالإضافة إلى الأجانب، وبالتالي يجب فهم هذا الموضوع. وفيما يتعلق بموضوع المعالجة أظن أن أطفالنا في المجتمع الإسلامي يعيشون في وسط الأم والأب والبيت والمدرسة والتلفزيون والراديو، يسمعون القرآن والأذان، وبالتالي عندما تريد التوجيه لا تحتاج إلى أمور كثيرة للتوضيح ربما نقطة صغيرة تحتاج إلى التوجيه أما أن يحفظ شيئا أو يتعلم شيئا.

بالنسبة للجيل الموجود في الخارج: المجتمع كله معاد، والقانون يتناقض مع الإسلام، وإذا أخذنا مسائل الطعام والزواج والطلاق والعلاقات الاجتماعية وتربية الأبناء وحماية البنت الصغيرة وموضوع (البوي فرند) وغيرها من هذه الأمور، ناهيك عن موضوع الكحول وموضوع لحم الخنزير. لدينا أعداد كبيرة من المسلمين قابعون في السجون، والسجين المسلم يعاني الأمرَّين، أولاً هو سجين، وأكثر من ذلك أنه منقطع عن كل شيء لا يعرف شيئاً عن رمضان ولا العيد، ويأكل لحم الخنزير.

هذا يتطلب في تقديري إعداد برامج نشر الدعوة الإسلامية بما يتناسب مع هذا الظرف، لأن جميع المواد التي تعطي المفهوم الإسلامي سواء كانت مكتوبة أو على الكمبيوتر أو أية مسائل، معدة للمسلم في العالم الإسلامي أي إنها تقتصر على إعطاء التعليمات في المجالات الضيقة.

لا أجد كتبًا وبرامج تلفزيونية تتناسب مع المسلم الذي يعيش في بيئة ليست إسلامية إطلاقا، وأعتقد أنه يجب التفكير في كيفية إعداد هذه البرامج وهذا من اختصاص علماء النفس والتربويين إضافة إلى العلماء.

هذا فيما يتعلق بإعداد الخطة العامة، أما ما يتعلق بالتنفيذ فنرى الآتي:

العائلة نفسها تحتاج إلى أن تُعطى شيئاً من المفاهيم حول كيفية تعليم أبنائها. الآن أغلب المسلمين في الغرب أبناؤهم لا يتكلمون اللغة العربية وبالتالي أصبح موضوع قراءة القرآن بحد ذاته وبقية الكتب مشكلة. وهذه مسؤولية العائلة نفسها.

الشيء الآخر: التعليم الرسمي في بريطانيا كان فيه تعليم اللغة العربية في المدارس لمن أراد ثم بعد ذلك العرب الموجودون هناك، قالوا إنهم لا يحتاجون للغة العربية وبالتالي انتهى تدريس اللغة العربية، وما عادت موجودة.

أما المدارس الأخرى التي تهتم بتخريج العلماء والتدريس وتدريبهم أعتقد أن القيادة فيها لا تزال هي قيادة إسلامية واردة من خارج أوروبا، وليست قيادة إسلامية موجودة في داخل الدول الأوروبية، يعني لذلك أنا أعتقد أن من واجب الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي ليس تهيئة علمائها للذهاب إلى أوروبا إنما تستقدم طلاباً من الشباب الملتزم الإسلامي، الذي يعرف المجتمع يعرف ما هي المشاكل وكيف يتعامل معها؟

عندما ترسل عالم دين مهما كان مثقفًا فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الآخرين إذا لم يعش في المجتمع البلجيكي أو الإنجليزي أو أي مجتمع غربي، سيتكلم وفق المفهوم الذي جاء به وينقل مشكلات العالم الإسلامي.

وقد بدأنا محاولات في بريطانيا وأعتقد أنها ستتسع... من الآن فصاعدا رجال الدين يجب أن يكونوا مرخصين من قبل السلطات البريطانية، وبالتالي نحن بصدد وضع منهج الإسلام بحسب المواصفات القياسية حيث نضع البرنامج الإسلامي حسب التوصيف حسب المقاس، يعني الإسلام كما نعهده سيختفي باعتبار أن هذا الدين ليس دعوة إلى الحرب وكذا وكذا وعن ممالك الإسلام.

هناك وجهان لهذه المشكلة خارجي وداخلي: الخارجي التهميش

كشـــكل من ذلك، ثم بعد ذلك يأتي من الداخل هو عدم الدعم للأسرة وعدم الدعم للمجتمع الإسلامي ككل.
والمشـــكلة أننا نفتقد القيادة .. ليس لدينا قادة يقودون الشباب للطريقة الصحيحة، ولأن أمر التهميش في مســـألة الإســـلام ليس جديـــدا فمنذ بداية رســـالة المصطفى صلـــى الله عليه وسلم تعرض الإســـلام لكل هذه الأمور، كما تعلمون فقد وقف المسلمون بصلابة شـــديدة أمام من يعادونهم لكي يستمر هذا الدين بإذن ربه ســـبحانه وتعالى وبتوفيقه، ولذلك السبب يجب أن نتحدث دائما وأبدا عن ما يواجهنا، إلا أننا يجب أن نعرف الحلول التي يمكن أن نواجه بها هذه المشاكل، وبالتالي نكون قد سلكنا الطريق الصحيح.
يجب أن نتحدث بصراحة عن هذه المشاكل في مجتمعاتنا على ســـبيل المثال، فالخطيب والعالم المثقف الدينـــي مثلا يجب أن يتحدث عن هذه الأمور ويوضحها للجمهور، لكي تكون واضحة جلية، ولكي نعرف ما هي السبل التي نصل إليها من ذلك.
ويعتقد أن هناك خوفاً شـــديداً جدا من مناقشـــة هذه الأمور، والمثـــل الانجليزي يقول الكلب النائـــم لا توقظه، هم لا يريدون أن يتحدثوا عن هذه الأمور حتى لا تظهر أمام أعين الناس.
والنقطة الثانيـــة: يجب أن يكون هناك ناصح، كمســـلم، يعني إنســـاناً موجهاً، لأنه يعوزنا الشـــيء الكثير جداً، ويجب علينا أن نركز على هـــذا الأمر بالذات تحديدا، لكي نوجه الشـــباب الذي لا يعرف أين يذهب، والشـــخص الذي يريد أن يعطيه هذه النصائح لا يعرف كثيرا من مشـــاكل الشباب لكي يتعامل معها بطريقة ناضجة.

التركيز على الجانب التعليمي:

الشيخ الإمام توشـــكاني، بقي معنا وقت قليل ولكن لا بأس أن تذكر لنا بعض الحلول الميدانية التي حاولتم أن تبذلوا فيها جهداً في المجتمع البلجيكي.

توشكاني رئيس رابطة الأئمة في بلجيكا:

جزاكـــم الله خيراً علـــى كل ما قيل وما دام الوقـــت ضيقا، فأنا ســـأحاول أن أذكر فقط بعض رؤوس الأقـــلام. التوجه العام عند الأوروبيـــين هـــو (التنميط) كما ذكر الأســـتاذ صبـــاح المختار من بريطانيـــا، والتنميط معنـــاه أن يعيش المســـلمون على النمط الأوروبي، بتذويبهم. وكل مظهر مهما كان يخالف هذا التنميط يعتبرونه الآن غلوًا وتطرفا، وإن لم يصدر أي شيء من هذا الرجل أو من هذه المرأة.
طبعا بالنسبة للحلول الأساسية التركيز على الجانب التعليمي، ولذلك يجب إنشاء المدارس تحت إشراف المسلمين، ببرامج تكون مكملة للبرامج الرســـمية. هذا شيء مهم جدا، الجانب التربوي أيضا شـــيء مهم جـــدا، والجانب التربوي يحتاج إلى شـــيء من التفصيل لا يتسع الوقت لذلك.
الأمـــر الأهم كذلك احتضـــان الأجيال من خـــلال برامج هادفة، كما ذكر الأســـتاذ تكون هذه البرامج منهجاً لتأهيل الشخص الإسلامي المعتدل ليصبح هذا الطفل أو هذا الجيل من المواطنين الصالحين الإيجابيين.
الأمـــر الآخر إعـــادة النظر في أســـلوب الخطـــاب المعتمد في التعليم الإســـلامي. لقد وقعنا في عدة أخطاء في حديثنا عن الإسلام، وتقديمه على أنه متشـــنج أو يتطلع إلى إراقة الدماء وقضية تشـــنج في اســـتصدار الأحكام، وقضية تكفير حتى بين المسلمين فيما بينهم، مجرد اختلافات واجتهادات فقهية صار الواحد يكفر الآخر ويفســـقه ويستبيح عرضه أحيانا وقد يســـتبيح دمه. إذن هذا أمر في الحقيقة ناشـــئ عن الأسلوب المعتمد في الخطاب الإســـلامي وكذلك في التعريف بالإسلام ولابد مـــن إعادة النظر في ذلك الخطاب الـــذي ينبغي أن يكون متوافقـــا مع المنهج النبـــوي في الحكمة والموعظة الحســـنة والمجادلة بالتي هي أحسن.
أمـــر آخر العمل بتعاون مع المؤسســـات الرســـمية داخل البلاد وخارج البلاد والمؤسسات التي تهتم بهذا الجانب لنحقق الانفتاح الإيجابي والحوار البناء.

رابطة العالم الإسلامي مؤهلة لقيادة هذا التوجه:

ويختم الأســـتاذ محمد توشـــكاني بالقول إن رابطـــة العالم الإسلامي مؤهلة للقيام بدورها في هذا المجال، لأنها في الحقيقة تمثل العالم الإسلامي ولها مراكز في البلدان الأوروبية المختلفة... ولكـــن لا بد لهذه المراكز أن تعمل على انتداب وعاظ ومرشـــدين أكفاء، وتقام لهؤلاء الموجهين دورات تدريبية من حين لآخر لتطوير معلوماتهم، والرفع من مستواهم واكتساب الخبرة في التعامل مع الأحداث وقضية التعامل مع الأحداث.
على كل حال بالنسبة لنا في بلجيكا ربما واحد فقط من الشباب المتطرف كان له صلة بالمسجد ويصلي أحيانا فيه، أما أولئك الذين ذهبوا وتورطوا في منظمات التطرف، لم يكن أحد منهم له صلة بالمســـجد تماما، ولذلك الذين يأتون إلى المساجد يسمعون خطاب الإمام، هؤلاء يســـتقطبون من خلال الشبكة العنكبوتية، ولذلك أحد الوزراء فـــي بلجيكا أثناء الحوار قال للجهات الرســـمية وهو وزير لا تحدثونا دائما عـــن مراقبة الإمام ومراقبة الخطيب ولكن أين مراقبة الشبكة العنكبوتية التي تستقطب هؤلاء الأطفال وتؤدي بهم إلى التطرف؟ والأطفال دون سن الرشد ذكورًا وإناثًا يعني ترى مثلا بنتاً من البنات كادت أن تذهب إلى إحدى المنظمات المتطرفة، وصل لها من الرســـائل عبر الهاتف بمختلف الوسائل التواصلية أكثر من خمسة آلاف رسالة في يوم واحد، لغسل دماغها. ولذلك الأمـــر يحتاج فعلا إلى جهد ويحتاج إلـــى طاقة ويحتاج إلى دعم يعني طاقة بشرية وعلمية ومادية، والله هو الموفق.

وسائل ذكية لمعالجة التطرف والعنف لدى الشباب

الدكتور باعزيز علي بن علي الفكي

مدير مركز البحوث والدراسات الإفريقية ـ جامعة إفريقيا العالمية ـ السودان

تُعَدُّ مشكلة التطرف واحدةً من القضايا المعاصرة الشاغلة للمجتمعات والدول في عالمنا العربي والإسلامي وعلى امتداد العالم، وذلك لما تثيره من قضايا فكرية ملتبسة، وما تحدثه من أوضاع ثقافية واجتماعية معقدة، وما يترتب عليها من آثار سياسية وأمنية عميقة يصعب احتواؤها بتدابير نمطية معتادة.

تزداد مشكلة التطرف تعقيداً -في هذه المرحلة المضطربة من تاريخ أمتنا والعالم- لثلاثة أسباب جوهرية أولها: أن تعريف التطرف صار انتقائياً وذلك بسبب التوظيف الانتهازي من قبل البعض للمشهد الراهن لحال العالم العربي والإسلامي، ويتجلى ذلك من زاويتين: الأولى من تلقاء منظورهم الثقافي الذي لا يحفل كثيراً بالأفكار المخالفة سلمية كانت أم متطرفة، خاصةً إذا كانت تؤسس لمشروعية تخالف فلسفتهم، والثانية من جهة معتقدهم السياسي الذي يرتكز على فكرة المصلحة دون اكتراث كبير للمبادئ، وتُعدّ حالة التطرف الإسلامي نموذجاً مثالياً لهذا؛ فعلى الرغم من ثبوت أن الكثير من حركات التطرف الإسلامي في منطقتنا إنما نشأت بواسطة جهات لها مصالح وترعرعت في كنفها، إلا أنه سرعان ما انقلبت عليها عند تعارضها مع مصالحها، ويُعدُّ تنظيم القاعدة خير نموذج لذلك.

نتيجةً لما سبق، اضطرب مفهوم التطرف الإسلامي بسبب الغربيين ليصبح مجرد وصفٍ للعنصر المادي دون الاجتهاد في فهم أبعاده وبواعثه المعنوية التي تتعدد وتتنوع، ويعود هذا الوضع لاستحداثهم ما أطلقوا عليه الثقافة الكونية التي تذوب فيها الفواصل بين الحضارات والثقافات والشعوب والأمم، لتُساق جميعها نحو النموذج الغربي الأوحد الذي طفَر بسبب انهيار التوازن العالمي؛ فصارت تفسيراته للظواهر والمواقف هي الحقيقة المطلقة التي يراد حمل الناس عليها بالتراضي أو بالقسر.

ترتب على هذا الواقع الجديد أنْه لم تُتَح مساحةٌ كافية للآخر المخالف ليعبر عن هذه المفاهيم من منظوره الثقافي، أو الحضاري، أو حتى السياسي، وهذه معضلةٌ يتوجب فهمها ومعالجتها في سياق النقاش حول مشكلة التطرف.

السبب الثاني هو الالتباس في تشخيص دوافع التطرف والاضطراب وتحديد أسبابه، والعُسر في تلمس مظانّه؛ فصارت من المسائل المتداخلة في طرقها ومسالكها، والواسعة في أطيافها وأنواعها، والمتنوعة في طرق معالجتها، وسوف نفصّل البيان بشأنها في ثنايا هذه الورقة.

أما السبب الثالث فيظهر عند مواجهة حقيقة أن عالم اليوم صار يتقارب بصورة أكثر من أي وقت مضى بسبب وسائل التقنية الحديثة التي جعلت القيم تتداخل، وأنماط الحياة تتشابه بصورة تجعل كثيراً من شبابنا لا يكاد يميز بين المصالح والمفاسد، وبما أن دوافع التطرف ومظانه هي من الأمور التي تتجدد وتتبدل تأثراً بحراك المجتمع، وتعدد مشاربه، وتنوع أساليب تعامله مع ما يحيط به من النوازل والقضايا المستجدة، فإن الواقع يشير إلى أن جماعات التطرف وظّفت هذه الميزة النسبية بسبب الانفجار المعلوماتي لصالح الترويج لأفكارها وهو ما يوجب أن تكون وسائل التصدي لها مختلفة تماماً عن الأنماط التقليدية التي ظلت الحكومات والدول تتبعها في سياق تصديها للتطرف.

في ظل هذه الظروف كان لزاماً على أمتنا عبر قادتها، ودعاتها، ورموزها الاجتماعية والأكاديمية وغيرهم من أطياف المجتمعات المسلمة أن تستوعب هذا الواقع، وتتعامل معه بحكمة ووعي يراعي خصوصيات مجتمعاتنا وما تحمله من قيم، وفي ذات الوقت ينهض بكل ما لديها من قدرات في سبيل الحد من مشكلة التطرف لدى الشباب.

ترتب على الأسباب السابقة أن صارت الدول الغربية ومؤسساتها المعنية بمكافحة التطرف تنتهج - في الغالب- أسلوب التعامل العنيف الذي يرتكز على حسم التطرف عبر استخدام القوة والقهر، وصارت المعالجات الأمنية القائمة على التصنيف العرقي والديني والثقافي، وافتراض وجود بذرة التطرف في فئات محددة من المجتمع هي الوسيلة المتبعة في هذا الشأن.

وأخيراً أ فإن هذه الورقة المختصرة تمثل رؤوس أقلام ذات بُعدين أحدهما فكري يركز على تحليل السلوك المتطرف، والآخر واقعي يهتم بتحديد أهم الوسائل الكفيلة بالحد منه، والأساليب الناجعة لمعالجة آثاره.

وأود أن أنوه إلى أن هـذه الورقة اقتصرت على إبراز ما عنَّ لكاتبها من وسـائل تناسـب موضـوع معالجـة الشـباب المعاصر من التطرف والعنف، وبالتالي اهتمت بالوسـائل دون الاستغراق في الاستشـهادات، والمرجعيات، والحواشـي التي تناسب موضوعات أخرى. كما أن هدف الورقة هو اقتراح وسـائل واقعية تتناسب مع واقعنا والحرص على توضيح الأدوات والوسـائل المناسـبة لمجابهة التطرف من مختلف مداخلـه، ويمكن التفصيل المتعمق في هذا الموضوع في مناسـبات لاحقة في أوراق أخرى، وكتب علمية تُعد لهذا الغرض.

المحور الأول: مقترحات توجيهية عامة

١- يجب ابتداءً التفرقة بين نوعين من التطرف أولهما هو التطرف الفكري الذي يمكن أن يتطور ليصبح عنيفاً أو ينحسـر عن ذلك، ويتمثل في اقتناع المتطرف بأفكار متشـددة معينة لكن دون أن يتبعها فعل مـادي، أو تعبير عنيف أو عدائي، أما النوع الآخر فهو التطرف المادي العنيـف الذي يترتب عليه إحـداث نتيجة مادية مباشـرة قد تختلف في مداها وأثرها من حالـة لأخرى. وبصورة عامة فإن كلا النوعين خطير وإن اختلفا في الأثر المباشر، ويتطلب كل نوع منهما أسـلوب معالجة وتعامل يختلف عن الآخر حسب الحال والسياق والظروف المحيطة.

٢- أن يكون المحرك الأساس والرئيس لمعالجة التطرف هو استبطان الإصلاح وإشـاعة قيم التسامح والحوار كوسـائل محورية لحل المشاكل في المجتمع، وليس التوجه مباشرة نحو التجريم، وأن يكون انتشال المتطرفين من واقعهم الضيق المنعزل نحو رحابة وترحيب المجتمع المتصالح المعتدل هو الهدف؛ فالإنسـان كائن اجتماعي لا غنى له عـن الحياة الاجتماعية يؤثر في المجتمع ويتأثر به، ومن هذا الباب يجب إشـاعة ثقافة القبول بالعائدين للحياة السوية ممن انسـاقوا وراء دعوات التطرف، وأن نحصـن العقل الجمعي لأفراد المجتمع ومؤسسـات الدولة من الارتكاز علـى فكرة الوصمة في النظرة تجاههم، ولذلك اسـتخدمنا في هـذه الورقة مصطلح معالجة التطرف تعبيراً عن وجود فرصة لانتشـال المتطرف فكرياً من الدركات التي سقط فيها، ولم نختزل الوسيلة في المكافحة، أو المحاربة وهي وسائل مطلوبة عندما يتحول من التطرف الفكري، إلى تطرف عنيف يسـتوجب المواجهة عبر وسـائل تناسبه وتحُدُّ من خطره.

٣- ضـرورة الفهـم الدقيق لأسـباب التطرف، وعناصـر البيئة التي يتخلّق داخلها في المجتمعات المسـلمة، وسـبر أغوار ودوافع الأشخاص والجماعات المتطرفة التي تحملهم نحو التطرف، ويمكن التعبيـر عن ذلك بصورة أخرى بـأن ينصرف الجهد ليس فقط في مجابهة التطرف بعد ظهـوره وتحقق ضرره-وهو مطلوب قطعاً- ولكـن علينا أن نبذل جهداً اسـتباقياً في البحـث عن مُولِّدات السلوك المتطرف الذي هو في الواقع يظهر نتيجةً لعوامل وأسباب مختلفة، منها الذاتية، أو التربوية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسـية، أو غيرها مما قد تكون سبباً مباشراً أو غير مباشر للتطرف الفردي أو الجماعي.

هـذا المنهج الاسـتباقي يقتضي بالضـرورة ألا نركز فقط على معالجة مشـكلة الفعل الذي يُنتج التطرف والاستغناء به وحده ظناً منا بأن هذا هو أنجع مـا يمكن فعله، وإنما يجب فهم حقيقة أن أسباب التطرف ليست كلها فكرية، أو دينية بل هنالك حالات تطرف كثيـرة يكون منشـؤها عوامل اجتماعيـة أو اقتصادية كالشـعور بالظلم، أو المعاناة بسـبب التمييز، أو بسبب قضايا ذات طبيعة عامـة جماعية -داخليةً أو خارجيةً- وما أكثرها، كما قد يكون التطرف ناجماً عما يتسـبب به الأفراد أو المجتمع أو حتى الدولـة دون وعي أو قصد فتترتب عليه من الآثار ما لا تحمد عقباه، ومن هنا يجب الحذر من إطلاق الأحكام المتعجلة على فئات جانحة من الشـباب، واستسـهال تصنيف الجماعات والأفراد لمتطرفين ومعتدلين بناءً على انطباعات، أو مواقف عابرة.

٤- بعد فهم واستكشـاف أسـباب وجذور التطرف ينبغي تركيز الوسـائل وتوجيهها نحو معالجة جذور البيئة المنتجة له وليس فقط نحو أعراضها. وتظهر هنا الحكمـة والحصافة وبُعد النظر التي يجب أن يتحلى بها من يتصدى لهذه المهمة العظيمة التي هدفها معافـاة المجتمع من التطرف وليـس الاقتصار فقط على كبته ومحاصرته.

٥- من المهم للغاية الاهتمام بالحيلولة دون السـماح للتطرف بأن ينمو في المجتمع بسـبب ردود فعل فئات متعاطفة مع المتطرفين نتيجةً لما قد يتعرضون له من معاملة قاسـية، ومن ثم نُسـهم بسـلوكنا في التعاطـي مع التطـرف والتعامل مـع المتطرف بالمسـاعدة في نشـوء بؤر وامتدادات جديدة له. ويجب أن يكون المتعاملون مع قضية التطرف -سواء كان تطرف أفراد أو جماعات- على قدر مـن الوعي بهذا العامل المهم، والـذي بإهماله تتأجج حمية الانتقام والثأر، وتتسع دوائر التطرف كما نرى اليوم.

٦- يجـب الاهتمام بترتيب الأولويات بـذكاء والتخطيط بواقعية في سياق معالجة التطرف، مع مراعاة السير المتوازي في المعالجات ليكون الدخول للتطرف الفكري شـاملاً، والولـوج لمعالجته عبر الطُـرُق علـى كل المنافذ الممكنة، واسـتخدام كافة الوسـائل المشروعة من النواحي الشرعية والقانونية والأخلاقية.

٧- الاهتمام بتجويـد وضبط الخطاب الموجّه نحو المجتمع للتحذير من التطرف والعنف، وأن يكون الأسلوب العام للخطاب جامعاً بين المواجهة المباشرة عبر التصويب نحو سلوكيات متطرفة محددة مع ضرب الأمثلة المناسبة والكشف عما يفرزه السلوك المتطرف من آثار مدمرة على مختلف الأصعدة، وبين أساليب التوجيه غير المباشرة بالتشجيع والترغيب في تلقي المعارف والعلوم الشرعية

وغيرهـا من مصادر موثوقة يُبنى من خلالهـا الفكر المعتدل في أوساط المجتمع.

المحور الثاني: وسائل التعامل مع التطرف والعنف وحماية المجتمع منهما

ثمة وسـائل في هذا المحور يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام على النحو التالي:

أولاً: الوسائل الشعبية:

ونقتصر فيها على ثلاث وسـائل تكتسـب أولويـة قصوى هي: والوسـائل الدعوية، الوسـائل الإعلامية، والوسائل الاجتماعية، ونوردها على النحو التالي:

١- الوسائل الدعوية:

تعد من أهم الوسائل لمجابهة الفكر المتطرف لما يتمتع به الدعاة، والمؤسسـات الدعويـة من ثقـة ومقبولية اجتماعية سـببها ارتباطهم بالدين الذي يمثل المحـرك الرئيس لوجدان المجتمع، والذي يسهم بصورة مباشـرة في تكوين قناعاتهم الفكرية، ويشكّل نظرتهم للأشياء من حولهم، ويؤطّر توجيه مسارات اختياراتهم في الحياة، وتتمثل أهم عناصر الوسيلة الدعوية في الآتي:

أ. ترشـيد الخطاب الدعوي وضبطه وتوجيهه بذكاء وواقعية نحو قضايا الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي من المنظور الإسلامي بحيث يمكّن المجتمع من تصور رؤى الإصلاح والسعي نحو تطبيقها، وغنيٌّ عن القول إن الاستغراق في المثاليات والنماذج العليا البعيدة عن واقع المجتمع تزهّد الناس في تحقق شـروط الإصلاح والتعلق بأمل حدوثه، ولذا فإن الاهتمام بتشـريح جذور التطرف وآثاره في واقع المجتمـع المعاصر، والتحذير منها وفق مرجعيات علمية شـرعية راسخة لا يتطرق إليها الشك يُعدُّ من أهم شروط الخطاب الدعوي الموجّه نحو التطرف والعنف.

ب. أن يهتـم الأئمة والدعـاة والخطباء بحثِّ المجتمـع على إعلاء قيمة الحوار والمجادلة بالحسنى، والتسـامح، وبذل النصيحة على كافة المسـتويات لأن أهم الأسـباب التي ينشأ بسببها التطرف هو ضعف ممارسـة حرية التعبير التي تعد من الحريات الضرورية للمجتمعات كافة؛ فكلما تقلصت مساحات الحوار اتسعت فرص التطرف والعنف.

ج. أهمية توظيف منابر المساجد لتوجيه الرأي العام نحو التوعية بخطورة التطرف؛ فتكون الخطب والدروس بمثابة جرعات تحصينية متقدمة ضده، وتسـهم في توسعة دوائر تحسسه ورصده مبكراً من أجل معالجته على مسـتوى المسـاجد بالأحياء والتجمعات كالأسواق وغيرها.

د. تطوير أدوات العمل الإرشـادي والتوجيهي الإيجابي لتتوسـع في الانخراط في وسائل التواصل الاجتماعي التي تتعدد وجوهها وتقنياتهـا ودوائرها، وتتكثف آثارها، وتُعد مـن أهم أدوات التأثير على أفراد المجتمع، والشباب والنساء منهم بصورة خاصة.

هـ. نظراً لحساسـية النقاش حول موضوع التطرف بتشـعباته المختلفة، ودقة تفاصيل محتويـات التداول حوله، فإن من الواجب على الدعاة والخطباء والناشـطين الاجتماعيين الناشـطين في تناول مشكلة التطرف والعنف التحضير الجيد لمادتهم العلمية، واستخدام الأسـاليب الذكية لمخاطبة المجتمع بفئاته المختلفة عبر مداخل متنوعة تشد الأسماع، وتسـترعي الانتباه وهنا يأتي دور التدريب المسـتمر لهؤلاء الناشـطين لمواكبة المستجدات بهذا الشأن.

و. ضرورة الاهتمام بمحتوى الأنشـطة المصاحبة داخل المساجد كالأحاديـث والمحاضرات والـدورات الدعوية والمـدارس الصيفية وغيرهـا، والاطمئنان لفهـم أعضاء لجان المسـاجد لدورهم في معالجة مشكلة التطرف والعنف، لما لهذه اللجان من دور كبير في التوجيه الإيجابي لمناشـط المساجد، ولما قد يترتب على إهمالهم وتقصيرهم من نتائج وخيمة في هذا الشأن.

ز. ضرورة عقد الـورش والمؤتمرات العلميـة المتخصصة لتتناول محاور تفصيلية عن مشـكلة التطرف والعنف، يشـارك فيها المختصون فـي كافة المجالات ذات الصلة، وتكـون توصياتها هادية للعمل المنظم والمنسق لمواجهة التطرف والعنف.

ح. مـن الضـرورة بمكان الاهتمـام بإطلاق الأنشـطة الدعوية والتوعويـة والتوجيهية وضمان اسـتمرارها وبصورة خاصة في الأقاليم والأطراف والمناطق والأحياء البعيدة التي يمكن أن تشكل حواضن محتملة مناسبة للتطرف.

٢- الوسيلة الإعلامية:

لقد صار الإعلام الشـريك الدائم في كل ملامح حياتنا بمختلف أشكالها ومستوياتها، وصارت وسائله تؤثر في عقول كافة أفراد المجتمع، وبصورة خاصة النسـاء والأطفـال والمراهقين، ولا يخفى علينـا ما يمكن أن يخلفـه الإعلام المعاصر المتطـور من آثار على أنماط تفكير أفراد المجتمع، وتشـكيل قناعاتهم، ولذا كان لا بد من اعتماد الوسـيلة الإعلامية واحدة من أهم وسائل حماية المجتمع من التطرف والعنف، وتتمثل أهم عناصرها في الآتي:

أ. تكثيف وتنويع وسـائل الخطاب الإعلامي المعتدل عبر مختلف المداخل، والتواصل مع كافة أطياف المجتمع عبر الوسائط الإعلامية المناسـبة لهم كالقنوات المتخصصة للأطفـال، المرأة، الثقافة، الرياضة، وغيرها، مع التوظيف الأمثل لوسائل الإعلام، وتخصيص مسـاحات معتبرة لنشر الفكر المعتدل، مع التركيز على البرامج التفاعلية.

ب. التحذيـر من الفكـر المنحرف والتطـرف بأنواعه المختلفة وخصوصـاً القادمة من تلقاء بـؤر الغزو الفكـري، على أن تتم مراعاة ضوابط العمل الإعلامي ووسـائله بعدم الوقوع في براثن الممارسات غير الأخلاقية مثل التشهير، والتحريض، والتدخل في الحياة الخاصة، وغير ذلك من السـلوكيات المسـتهجنة التي لن تخدم قضية التحصين الفكري للمجتمع، وحمايته من التأثيرات

السلبية للفكر المنحرف. فنحن أمةٌ تقوم كافة ممارساتها على قواعد أخلاقية راسخة.

ج. ضرورة أن تهتم الجهات المختصة بالشأن الإعلامي - حكومية أو شعبية- بإرساء علاقات مع الأفراد والمجتمع من خلال المواقع والمنتديات الإعلامية المفيدة التي تحمل أفكاراً إيجابية وبنّاءة تساهم في تكوين شخصية مسلمة محصنة وقوية وواعية بخطر العنف والتطرف، وتقوم من خلال الأساليب التقنية الحديثة برصد الأثر الإيجابي لهذه الشبكات في تحقيق تنافسية مقبولة مع غيرها من الشبكات الناشطة في الاتجاهات المعاكسة. ويعد هذا العمل من أوجب الواجبات في عصرنا نظراً للثورة المعلوماتية الهائلة التي تجتاح العالم، وتتوسع دوائر تأثيرها يوماً بعد يوم والتي لا تجدي معها سياسة تكميم الأفواه.

د. من المهم الحرص على تطبيق المعايير الإعلامية الفنية التنافسية مثل الاهتمام بجودة الصورة والشكل الجاذب، والذي إذا تضافر معه محتوى متميز يمكن أن يحقق أعلى نسب المشاهدة، مع الحرص دوماً على ألا يكون ذلك التجويد الشكلي خصماً على المحتوى الهادف والموجه من خلال الحرص على انضباطه بالمعايير الشرعية والأخلاقية.

٣- الوسائل الاجتماعية:

تُعد الوسيلة الاجتماعية هي رأس الرمح في معالجة مشكلة التطرف في مختلف مراحله، وأشكاله لأنها هي الميدان والساحة التي ينشأ فيها، ويتفاعل معها، ويؤثر فيها، ويتأثر بها، لذا كان من الضروري الاهتمام بها لمجابهة التطرف، وتتمثل أهم عناصر هذه الوسيلة في الآتي:

أ. تشجيع الاهتمام بدور الاختصاصيين الاجتماعيين لما لهم من معارف متخصصة، وخبرات فنية في تقصي الجذور الاجتماعية للتطرف والاكتشاف المبكر له، وتوقُع الأساليب ذات التأثير الاجتماعي التي يمكن أن يلجأ المتطرفون إليها في أنشطتهم.

ب. أهمية إتاحة مساحات للاستيعاب الاجتماعي للشباب في مواعين المجتمع والدولة لما له من أثر مهم في ربطهم بمجتمعاتهم ليتأثروا بقيمها وأخلاقها الفاضلة في التواصل والتعاون والتعاضد؛ حيث إنه من المعلوم أن الانعزال هو مدخل من مداخل التطرف، ويجعل المستهدفين به صيداً سهلاً من قبل المتطرفين لسهولة التأثير عليهم.

ج. تشجيع الشباب بصورة خاصة، وغيرهم على الانخراط في خدمة المجتمع عبر مختلف منظماته الاجتماعية، وحفزهم على تطوير قدراتهم واهتماماتهم بهذه الأنشطة، مما ينمي عندهم الشعور الإيجابي بالحرص على المجتمع، وصيانته من المخاطر.

د. التركيز على العناية بالأسرة، مع الاهتمام بصورة أكبر بالنساء لما لهن من دور بالغ الأهمية في التأثير على بقية أفراد الأسرة، ولكونهن الأكثر التصاقاً بالأبناء بسبب انشغال الآباء بالسعي لكسب الرزق، وكذلك ينبغي الاهتمام اللصيق بالأطفال ومراقبة سلوكهم وتوجيههم تربوياً نحو الاعتدال، والرفق، واحترام الآخرين ورعاية القيم الدينية والأخلاقية للمجتمع.

هـ. التركيز بصورة كبيرة على فئة المراهقين لسرعة تأثرهم بالأفكار الجديدة نظراً لكونهم يمرون بأهم مرحلة تغيير في حياتهم، تتشكل على أساسها منظومة القيم والقناعات والأفكار التي تحدد مسارات الحياة مستقبلاً، ولكون هذه المرحلة تجسد صوراً واضحة لضعف واضطراب نضجهم الفكري والثقافي والاجتماعي، وتزايد حالات القلق والتحفز والاحتجاج التي تعتريهم بسببها، ولكونهم هم الفئة الأكثر استهدافاً من قبل الجماعات المتطرفة؛ حيث تستغل تلك الجماعات طاقات حماسهم المتعجل، وجذوة انفعالهم المتقدة لتوجهها نحو أهدافها المتطرفة.

و. من الضروري بمكان إبراز رموز اجتماعية ودعوية ورياضية بديلة للنماذج المتطرفة في كافة المستويات سواءً على مستوى الأحياء، أو المناطق، أو على مستوى الدول، وكذلك على مستوى الأمة ليتعلق بهم الشباب ويتأسون، وهذا يتطلب عملاً منظماً، وقدراً من التخطيط الجماعي لتحقيق الغاية المرجوة منه.

ثانياً: الوسائل الرسمية:

تمتلك الدول سلطات مؤثرة، وتباشر اختصاصات كبيرة بحكم الدستور والقانون، وهي بهذا يتاح لها مساحة واسعة للتحرك نحو محاصرة التطرف، سواء كان فكرياً، أو اتخذ شكل الفعل المادي العنيف. أما أهم عناصر الوسائل الرسمية لحماية المجتمع من التطرف والعنف فهي أربع وسائل: الوسائل التأمينية الوقائية، الوسائل التشريعية، الوسائل الفنية والتقنية، والوسائل الاقتصادية نوردها على النحو التالي:

١- الوسائل التأمينية الوقائية والإيجابية:

تعد هذه الوسائل ضرورية في معالجة التطرف، وتبدأ بالإحاطة المعلوماتية بمظان التطرف وأفراده وجماعاته وشبكاته الداخلية والخارجية بطرق ذكية، وعبر وسائل تقنية حديثة ووسائل أخرى متنوعة، وتنتهي بتحويل المتطرف السابق لعنصر مفيد ومتصالح مع نفسه، وواقعه، يمكن إيراد أهمها فيما يلي:

أ. التدقيق في تصنيف المشتبه بانخراطهم في النشاط المتطرف، وعدم الركون الكامل لمعلومات من مصدر واحد، والاهتمام بتوثيق المعلومات والتأكد من دقتها وصدقها، لأن تأسيس التعامل والاشتباه بناءً على معلومات غير دقيقة، هو النقطة التي يمكن أن يحدث بسببها التحول سلباً نحو مزيد من التطرف.

ب. بما أن التطرف قد صار عابراً للحدود، فلا بد للدول من تأسيس شبكات من التعاون الإقليمي والدولي لرصده والوقاية من آثاره المتعدية لحدود الدول، ولكن يجب أن يكون ذلك في حدود ثوابت الدول ونظمها الدستورية والقانونية؛ ويمكن أن يكون التعاون في المحيط الأقرب عربياً وإفريقياً، والمحيط الأبعد في حدود مصالح

الدول، والحذر من الانزلاق لصراعات جانبية داخلية أو خارجية بسبب مكافحة التطرف؛ فمن المعلوم أن كل موجات التطرف والعنف الراهنة لم يكن ليكتب لها الاستمرار والتأثير لولا تمتعها بأشكال من الدعم والرعاية داخلياً وخارجياً من جهات لها مصالح كبيرة في استمرارها.

ج. الاهتمام بتأهيل المتطرفين السابقين المفرج عنهم الذين أبدوا ندماً على أعمالهم المتطرفة، وأبدوا رغبةً في أن يكونوا عناصر نافعة في المجتمع، ويجب أن يكون تأهيلهم على المستويين الاجتماعي والاقتصادي وفق خطط مدروسة.

د. ضرورة التعامل الذكي فيما يتعلق باتباع منهج التناسب بين الفعل المتطرف وأسلوب التعامل معه، بحيث يكون أسلوب التعامل متضمناً قدراً من الانتقائية والنسبية والتوازن حتى لا يترتب على إغفال هذا النهج وقوع ردود فعل عنيفة وعميقة لا يمكن تدارك آثارها.

٢- الوسائل التشريعية:

تتمثل أهم عناصرها في الآتي:

أ. مراجعة التشريعات النافذة لتواكب تطور وسائل الجماعات المتطرفة وأنشطتها، ولتحقيق الهدف الرئيس من التشريعات الجنائية المتمثل في الردع والمنع.

ب. اهتمام الدول بمواءمة تشريعاتها الوطنية مع الالتزامات الدولية خاصةً تلك المرتبطة بمكافحة جرائم الإرهاب والتطرف والعنف.

ج. ضرورة أن تتضمن التشريعات الوطنية نصوصاً تتيح التعامل مع المحرض، والمعاون على أعمال التطرف بذات القدر من الحزم والضبط الذي يُعامل به الفاعل الأصلي، كما يجب التركيز على الأعمال الجنائية التمهيدية كالتدريب، والتهيئة للتطرف العنيف، مع الأخذ في الحسبان أن تكون اللغة القانونية المعبرة عن هذه الأوصاف الإجرامية واضحة ودقيقة ومنضبطة لا تحتمل التأويلات المتعارضة.

د. الاهتمام بانتقاء الكفايات العدلية والأمنية التي توكل إليها مهام التعامل مع المتطرفين، وبذل الإمكانيات اللازمة لتأهيلهم من النواحي المختلفة لتحقيق الغاية من الإجراءات تجاه المتطرفين، وهي إصلاحهم ليكونوا عناصر متصالحة مع مجتمعاتهم.

٣- الوسائل الفنية والتقنية:

بما أن الوسائل التقنية صارت من أهم وسائل التطرف للنفاذ للمجتمعات فيتوجب الاهتمام بها من خلال عدد من الإجراءات، أهمها:

أ. السعي للإحاطة بالمواقع المحرِّضة على التطرف من قبل جهات الاختصاص في داخل الدول، ورصد مواقع إطلاقها، والقائمين عليها، والاجتهاد في إضعاف قدرتها الفنية وصولاً لحجبها عبر الوسائل المناسبة، وإن كان هذا الأسلوب ليس الأفعل في استئصال تأثير التطرف عبر الوسائل التقنية، إلا أنه يسهم في تقليل أثره.

ب. العمل الإيجابي عبر رعاية الدول وتشجيعها للمجتمع على إطلاق المواقع الإلكترونية التي تعالج العاهات الاجتماعية التي بسببها تتكون بؤر التطرف المختلفة عبر المسابقات والدعم المالي والفني والمعلوماتي وغيرها من طرق الدعم.

٤- الوسائل الاقتصادية:

أ. معالجة الظروف الاقتصادية التي تساعد على نمو التطرف مثل البطالة، وانعدام فرص كسب الرزق بطرق مشروعة.

ب. محاصرة الجماعات المتطرفة الناشطة اقتصادياً لمنع استغلالها للمال في إفساد أفكار أفراد المجتمع باستغلال الحاجة والعوز.

ج. رصد حركة تداول الأموال المشبوهة، وتعزيز التعاون الدولي والإقليمي في هذا الجانب المهم بحسبان أن الجماعات المتطرفة يكون لها في الغالب مصادر تمويل خارجية.

ثالثاً: الوسائل المشتركة:

يقصد بها تلك المشتركة بين الوسائل الشعبية والوسائل الرسمية، والتي ليست سلماً بصورة قاطعة لجهة واحدة من الجهتين الشعبية والرسمية، وإنما يشترك في تأسيسها وتشغيلها الجانبان الشعبي والرسمي، ونحصرها في خمس وسائل هي: الوسائل التعليمية والتربوية، الوسائل السياسية، الوسائل الفكرية، الوسائل الرياضية، والوسائل الثقافية، وذلك على النحو التالي:

١- الوسائل التعليمية والتربوية:

تتمثل أهم عناصرها في الآتي:

أ. مراجعة وتقويم وتطوير المناهج الدراسية المطبقة في كافة المراحل التعليمية، وفي مؤسسات التعليم الجامعي وفوق الجامعي.

ب. إتاحة مساحات واسعة للاجتهادات الفقهية والتنوع في هذا الشأن في حدود الضوابط الشرعية، وعدم الانغلاق على مدرسة واحدة بحجة امتلاكها الحقيقة العلمية الشرعية المطلقة.

ج. الاطمئنان لقدرة ومؤهلات المعلمين وهيئات التدريس، والتدريب المستمر لهم لتمكينهم من الإلمام بواجبهم التعليمي والتوجيهي للطلاب تجاه معالجة مشكلة التطرف.

د. يُعَدُّ الاهتمام بالنشاط الطلابي النافع في مختلف المراحل، وتوجيهه نحو تعزيز قيم الاعتدال والوسطية والمشاركة من أنجع الوسائل لمعالجة مشكلة التطرف.

هـ. من الضرورة بمكان التركيز على تهدئة حمية العنف والاختلاف لدى طلبة الجامعات عبر جرعات تربوية ودعوية وتوعوية متنوعة ومتدرجة، وتهيئة عمادات شؤون الطلاب بها للقيام بأدوار إيجابية

في هذا الشأن.

و. السعي للاكتشاف المبكر لنزعات التطرف لدى التلاميذ في المدارس، وطلبة الجامعات والتي تظهر مؤشراتها المبكرة بسلوكيات اجتماعية متنحية مثل الانعزال والانغلاق الذي يقود للتطرف، والذي بدوره يتطور نحو العمل العنيف، وكل هذه المراحل يمكن أن تمر في مدى زمني قصير.

ز. لا بد من تعظيم دور الإرشاد النفسي والاجتماعي في المراحل السنية التي يُتوقع أن يظهر فيها غالباً الاتجاه نحو التطرف لدى الطلاب، وتعزيز دور المرشدين الاجتماعيين على الطلاب منذ دخولهم الجامعة وحتى تخرجهم فيها.

ح. التوسع في إجراء الدراسات المسحية الاجتماعية والنفسية لطلبة المدارس والجامعات، وتوجيه البحوث العلمية المتخصصة لخدمة هذا الغرض، ويا حبذا لو كانت مثل هذه المشروعات البحثية مدرجة في إطار خطط وطنية تحت رعاية قيادات الدول، وتنفيذ الوزارات المختصة كالتعليم العام، والتعليم العالي والبحث العلمي، والعدل، والداخلية، والأجهزة الأمنية ذات الصلة، ويشترك في هذه الدراسات العديد من الخبراء التربويين والاجتماعيين والقانونيين، ومنظمات المجتمع المدني المهتمة بهذه الشؤون.

ط. تظل مسألة إشاعة ثقافة الحوار وسبر أغوار التفكير عبر الاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين المتمكنين من هذه الأدوات هي المعوَّل عليها لإحداث الأثر المطلوب.

٢- الوسائل السياسية:

تتمثل أهم عناصرها في الآتي:

أ. تشجيع الشباب للانخراط في العمل العام، وربطهم بهموم الأوطان والأمة الإسلامية، ونقلهم من الانكفاء حول ذواتهم ونزواتها العارضة نحو أطر أوسع من الهموم العامة للأمة الإسلامية والوطن.

ب. حث الدول على تشجيع وتعزيز قيم الشورى والمشاركة في العمل العام لدى فئات المجتمع المختلفة، ودفعهم نحو بذل النصيحة للحكام والمسؤولين وولاة الشأن العام وفق الضوابط الشرعية، وإتاحة مساحات معتبرة للتعبير عن الرأي وفق النظم والقوانين العادلة.

ج. بما أن العمل السياسي يقوم في الأساس على الحوار والسلمية، فيتوجب تشجيع الثقافة السلمية وحل المنازعات السياسية والاجتماعية عبرها، والحوار البناء للوصول لنتائج مناسبة ترضي كل الأطراف، والتحذير من مغبة اللجوء للعنف والتطرف لحل القضايا السياسية، وهنا تقع على الدول والحكومات مسؤولية كبيرة في استدامة هذه السلمية في النشاط السياسي عبر وسائل متنوعة.

د. إن تشجيع الشباب -الذين لديهم غالباً نزوع نحو التشدد في طرح أفكارهم- على المشاركة الاجتماعية والانخراط في التكوينات المجتمعية، يجعلهم أكثر قدرةً على تفهُّم حدود التنظيم القانوني للنشاط العام، وتفهم فكرة الاختلاف في الرأي، ويجعلهم أكثر استعداداً للجدال بالرأي بدلاً عن حمل الناس قسراً للاقتناع برؤاهم، كما أن العمل السياسي يجعلهم أكثر انضباطاً واحتراماً للقانون.

٣- الوسائل الفكرية:

سوف تركز الورقة في هذه الوسيلة على جزئية واحدة من عناصرها، وتتمثل في تجربة المراجعات الفكرية التي تعتمد على تصحيح المفاهيم الاعتقادية، والفقهية والشرعية عبر الحوار مع المتطرفين بواسطة عدد من العلماء والدعاة المستنيرين المتمكنين من فهم جذور وخلفيات التطرف، والمدركين لمدى خطورته وآثاره. ويعد هذا الأسلوب في المراجعات واحداً من أهم مميزات تجربتنا في معالجة جذور التطرف، واحتواء تمدده، وقطع الطريق على انتشاره في المجتمع، وقد حقق نتائج باهرة ينظر إليها كثير من المهتمين بموضوع التطرف من مختلف دول العالم -لا سيما التي تعاني من داء التطرف- بتقدير كبير، وهي وسيلة حضارية وواقعية تهدف إلى مناقشة الفكر بالفكر، والحجة بالحجة، وتوجيه المتطرفين العائدين نحو تطوير ملكات الحوار والمناظرة والمجادلة بالحسنى بدلاً عن استخدام اليد والعنف في توصيل القناعات والأفكار.

٤-الوسائل الرياضية والثقافية:

لسنا بصدد تعداد الأنشطة الرياضية والثقافية التي يمكن أن تحتوي الكثير من الشباب؛ فبلا شك أن استيعابهم فيها على اختلاف أنواعها يعد من أهم وسائل توظيف طاقاتهم فيما ينفع، مع ضرورة الاطمئنان لعدم مخالفة الممارسات الرياضية والثقافية المختلفة للضوابط الشرعية والقانونية، وقد دعا الإسلام إلى الاهتمام بالصحة والنشاط من باب حفظ طاقات شباب الأمة من أن تُهدر فيما لا ينفع، وقد يضر في حالات كثيرة. هذا فضلاً عما يمثله تفريغ هذه الطاقات المتفجرة من ترويح الشباب عن أنفسهم، وفتح أبواب التعارف والتواصل بينهم، وفي هذا الإطار يمكن أن تنشط لجان المساجد بالأحياء في تنظيم مثل هذه الأنشطة الثقافية والرياضية، واستخدام الدراما والرواية والمسرح والإنشاد لنشر الفكر المعتدل، ونقد التطرف والعنف والإرهاب، لكن في كل الأحوال يجب الانضباط في المحتوى والوسائل وعدم الانزلاق في فخ تقليد النماذج العلمانية المتفلتة أو غيرها في مثل هذه المجالات التي لا يزال إسهام المسلمين فيها ضعيفاً على الرغم من تأثيرها العظيم.

ختاماً كانت هذه النقاط رؤوس أقلام في سبيل تحديد اقتراح بعض الوسائل الذكية لمعالجة مشكلتي التطرف والعنف لدى الشباب المعاصر، وهي مساهمة أولية يمكن أن تتطور بالدخول في تفاصيل دقيقة، وتوصيف أدق، ورسم خارطة طريق متكاملة للإسهام في مجابهة هذا الخطر المحدق، ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المحدود في صالح أعمالنا، والله الموفق والمستعان.

تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب

بقلم: د. حسن عزوزي

رئيس مركز الدراسات في مجال تصحيح صورة الإسلام بفاس

يعد الأمن الفكري من الموضوعات الحيوية والمؤثرة في حياة الشعوب والأمم، نظرا لكونه مسؤولية يتحملها المجتمع بكل مكوناته وأطيافه.ويعتبر مفهوم (الأمن الفكري) من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديما في ثقافتنا الإسلامية وإن كانت مقاصد الشريعة الإسلامية المنبثقة من استقراء نصوص الكتاب والسنة ترمي جميعها إلى حفظ الكليات والضرورات الخمس التي هي: الدين والنفس والعقل والمال والعرض. ويعتبر عنصرا الدين والعقل العنصرين المباشرين في تحقيق مهمة تعزيز الأمن الفكري لدى المسلمين. وبالتالي فإن بناء مفهوم (الأمن الفكري) في الإسلام يستدعي مراجعة نصوص الشريعة وتطبيقاتها بضرورة التأصيل على معاني الحق والتحصين من الباطل ومعالجة المواقف الضالة والأفكار المنحرفة وغير ذلك.

ويمكن تعريف الأمن الفكري بأنه «العمل على تحقيق الطمأنينة على سلامة الفكر والاعتقاد من خلال عيش الناس في بلدانهم والأوطان التي يعيشون فيها آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية».

أما تعزيز الأمن الفكري لدى الإنسان المسلم فهو ضمان سلامة فكره وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه لأمور الدين وتعاليمه، وضمان سلامة تصوره للكون والمجتمع بما قد يؤول به إلى الغلو والتطرف والتعصب.

وقد نشأ مصطلح «الأمن الفكري» بعد انتشار ظاهرة الإرهاب التي كشفت عن وجود أزمة فكرية تعيشها المجتمعات المختلفة التي ترتبط بفلسفة العنف في تحقيق أهدافها، ولذلك فتحقيق الأمن الفكري في المجتمع المسلم يكون له أكبر الدور في التصدي للعنف والإرهاب لأنه يدعم الحوار الفكري القائم على التأصيل الشرعي للمفاهيم والأفكار، ولأنه يدعم بالتالي تصحيح المفاهيم والمصطلحات الشرعية وتنقيتها من المصطلحات المشبوهة، إذ كثير من المشكلات والمخالفات العقدية والفكرية يعود إلى اختلاف المفاهيم أو الجهل بحقائق الأمور . ولذلك فإن إعادة الخطاب الديني إلى مبادئ الوسطية والاعتدال وتخليصه من التوجهات المتطرفة والطروحات الجهادية التي تنامت في السنوات الأخيرة وأصبحت تمثل مدرسة فكرية وسياسية خطيرة تحت مسمى (السلفية الجهادية) هي تأصيل للخطاب الشرعي المستمد من الكتاب والسنة اللذين يعتبران مصدري الأمن الفكري في المجتمع المسلم.

ولما كان العصر الحالي هو عصر التغيرات والتحولات التي أحدثت ولا تزال شروخا عميقة وهزات عنيفة في فكر المجتمعات الإسلامية وثقافتها فقد أفرز ضغوطا وتحديات ضخمة تتطلب المواجهة لتحقيق الأمن الفكري المطلوب خاصة في صفوف الشباب المتأثرين أكثر من غيرهم بمشاكل الانحراف الفكري سيما وأنهم نشؤوا مع نشأة التطورات التكنولوجية والمعلوماتية الهائلة التي تعتبر المسؤول الأكبر عن نقل وانسياب أفكار الغلو والتطرف.

ولعل أبرز مثال صارخ يبرز لنا مدى انحراف الفكر والاعتقاد لدى بعض الشباب المسلم ما حصل في الأشهر الأخيرة في عديد من الدول الأوروبية كان آخرها عملية دهس للأبرياء في أحد الشوارع الكبرى بمدينة برشلونة الإسبانية، والتي كان وراء تنفيذها مرة أخرى مجموعة من الشباب المسلم المغرر بهم . ولعل الذي يحز في النفس هو أن تظهر التحريات في معظم حوادث القتل أو

التفجير أو الدهس المرتكبة أن الفاعلين المتورطين ينتمون إلى الإسلام.

ومن خلال التأمل في سير هؤلاء وطريقة عيشهم ومستوى تدينهم وطبيعة علاقاتهم مع المحيط يتبين أنهم خارجون عن التصنيف الطبيعي للشباب المسلم في أوروبا، فكثير من هؤلاء يصعب متابعة تحركاتهم ونادرًا ما يترددون على المسجد ولا ينخرطون في المؤسسات الثقافية والاجتماعية القائمة ولا يكادون يربطون صلات وعلاقات مع الآخرين، إنهم مجموعة من الشباب الحائر تنزوي عن مجتمعها وترفض التواصل معه أو الاندماج في نسيجه الاجتماعي وتؤمن بمقاطعته شعوريا، وتميل إلى اختيار العنف المسلح أسلوبا للتغيير وطريقة للتعبير عن أفكارها المنحرفة. والذي يحصل في الغالب أن هذه الفئة من الشباب وهم قلة قليلة قد تم التغرير بها إما من خلال اتصالات مباشرة من طرف دعاة التطرف والعنف الذين لهم قدرة فائقة على استقطاب الشباب التائه الحيران أو عن طريق المواقع الإلكترونية التابعة لجهات متطرفة تجيد أسلوب التغرير والإيقاع بذوي النفوس الضعيفة التي تستهويها موضوعات الجهاد وفساد الحكام والخلافة الراشدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتكفير، وغير ذلك من الموضوعات التي تشكل دعاوى يتشبث بها هؤلاء المغرر بهم ممن وقعوا تحت تأثير الغلاة المتطرفين المتعطشين لإزهاق الأرواح البريئة، وسفك الدماء المعصومة تحت ذريعة الجهاد وقتل الكفار. ويحتجون بنصوص شرعية مفصولة عن سياقاتها ويؤولونها على غير وجهها الصحيح، وبذلك وجب التأكيد على أن الفكر المنحرف في فهم النصوص الشرعية من جهة وفي إنتاج الأفكار المضللة من جهة أخرى لا علاقة له بالظروف المادية المزرية لأصحابها أو أحوال الفقر والتهميش التي يعيشونها كما تذهب إلى ذلك بعض التفسيرات، وإنما هناك فكر دافع لاقتراف تلك الجرائم وقناعات تؤسس للفعل الإرهابي المرتكب، فالغوص في عمق الذهنية الإرهابية واستيطان مكوناتها الفكرية واستعراض مقولاتها التأسيسية يجلي لنا الدوافع الفكرية التي تقف وراء ارتكاب أعمال العنف والإرهاب من طرف جماعة من الشباب المغرر بهم الذين ركبوا مطايا الغلو والتطرف فصاروا يتصيدون آيات وأحاديث القتال يحرفونها عن مواضعها وينزلونها في غير منازلها ويخرجون بها من مظانها وسياقاتها التي وردت فيها ويخرجون بها إلى فهوم عجيبة غاية في السطحية والحرفية فيرونها دالة على وجوب قتال المشركين وتفجير ممتلكاتهم.

فالأمر إذن يتعلق بفكر نشأ عن قراءة غير سليمة للنصوص الشرعية أو انسياق أعمى وراء دعوات جهات إرهابية منظمة، فأفرز ذلك تيارا يحتكم إلى قوة السلاح، وسمة فكر هؤلاء المغرر بهم أنه يتقوى ويتمدد في كل الفراغات والفجوات التي يخلفها في ذهنية المجتمع حينما يتخلى جزئيا أو كليا عن الاضطلاع بمسؤولياته ووظائفه الدينية على مستويات نشر المعرفة الصحيحة وتحصين الذات فكريا واجتماعيا.

ولمواجهة هذا الموقف الخطير الذي يصعب معه التوجيه والمراقبة يتعين التفكير في إيجاد آليات للمعالجة من خلال تنبه أبناء الجاليات الإسلامية بكل مؤسساتها الاجتماعية والثقافية وبجميع مصادر التوجيه فيها إلى خطورة وجود أمثال هؤلاء المغرر بهم داخل الأسر يتحركون ويتواصلون مع جهات تنظيمية خطيرة دون أن يفطن لذلك من يحيط بهم داخل الأسرة والمسجد وفي المدرسة وغيرها.

من جهة أخرى فكما يتعزز تحقيق الأمن الفكري لدى الشباب بالتأصيل والتمكين فإنه يتعزز أيضا بالوقاية والتحصين، وذلك من أوجه عدة نذكر منها:

• التحذير من أعمال وأفكار أهل الغلو والضلال الذين أمسوا يتحركون تحت لواء منظمات وهيئات وجمعيات تحمل مسميات إسلامية، ولا شك أن تبصير الشباب المسلم بالأفكار المنحرفة وبخطورتها قبل وصولهم إليها فيتأثرون بها أمر ذو بال لأن الفكر الهدام ينتقل بسرعة كبيرة جدا ولا مجال لحجبه عن الناس، دون أن ننسى أن القلب والفكر محلان لمن سبق إليهما.

• ترسيخ مبدأ الحوار مع الشباب والإنصات إليهم لكي يعبروا عن أنفسهم وما يجول في خواطرهم وأذهانهم، ويتأكد الأمر أكثر في بلدان المهجر من خلال تشكيل لجان من المثقفين الحكماء داخل المسجد أو المركز الثقافي تعهد إليها مهمة لقاءات حوارية مع الشباب الذين هم في أشد الحاجة إلى الرعاية والمصاحبة، وذلك اتقاء وقوعهم في براثن الانحراف الفكري.

• البحث عن أسباب وعوامل ظهور أو انتشار الفكر المنحرف في أوساط الشباب داخل دائرة الاهتمام بالمدينة أو البلدة، ورصد جميع المؤثرات التي جعلت منه حقيقة واقعة لها أثرها التدميري، إذ لا يخفى أن العمل على تعديل السلوكيات والاتجاهات وتقويم الأفكار إنما ينطلق من تحديد الأسباب والدوافع.

• إيجاد آليات فعالة للتنسيق الدائم على مستوى التشاور والتناصح بين الأسر المسلمة وإدارة المسجد أو المركز الثقافي تحسبا لظهور تغيرات أو اتجاهات جديدة في سلوكيات وتصرفات الشباب.

• استثمار طاقات العمل المؤسساتي في بناء موقف اجتماعي مقاوم لكل صور الانحراف الفكري، وذلك بتوحيد الجهود وتنسيق الأعمال بين قادة العمل الثقافي الإسلامي وأئمة المساجد ورؤساء الجمعيات الثقافية والكفاءات العلمية العاملة والسلطات الأمنية الساهرة على توفير الأمن بجميع أشكاله.

حقائق صادمة في قضية
مسلمي بورما

إعداد: د. محمد تاج العروسي

تعتبر قضية المسلمين في بورما من أكثر القضايا حضورًا على ساحة الأحداث الدولية في الوقت الحاضر بسبب تصاعد أحداث العنف التي لفتت أنظار المسلمين أول الأمر، ثم انفعل بها العالم كله، فأصبحت قضية رأي عام تعقد لها المؤتمرات وتصدر بشأنها القرارات الدولية.

القضية ليست واضحة بالشكل الكافي لدى الرأي العام، وخاصة أصول الروهينجيا وحجم المآسي والجرائم التي تواجههم. ولذلك نقدم لقراء مجلة (الرابطة) تحليلاً شاملاً لهذه القضية، بغرض التوعية بأبعادها التاريخية والسياسية، كما أبرزتها مصادر مختلفة منها: كتاب واقع الثقافة الإسلامية في بورما دراسة تحليلية، لسيف الله حافظ غريب الله، ومأساة المسلمين في بورما أراكان، للأستاذ عبد السبحان نور الدين، ومأساة المسلمين في بورما الشيوعية، للأستاذ صالح أحمد إدريس، ومسلمو أركان وستون عامًا من الاضطهاد للأستاذ أحمد عبد الرحمن، ومسلمو ميانمار حقائق خلف الستار، للأستاذة جنان بدر العنزي، والإسلام والمسلمون في أراكان بورما قديما وحديثا للأستاذ محمد أيوب وغيرها من الكتب.

فذلكة تاريخية

تقع دولة بورما جنوب شرق آسيا على امتداد خليج البنغال، وتعتبر الآن من أفقر البلدان في تلك المنطقة بعد أن كانت أغنى دولة في شرق قارة آسيا.

البورميون أو البورمان، هم العرقية التي تتمتع بالسلطة والنفوذ في دولة بورما أو ميانمار. أما روهينجيا فهم عرقية المسلمين المضطهدين، وهي ذات جذور متأصلة في البلد تعود إلى سلالة شاندرا الهندية الذين سكنوا المنطقة ، وبالتحديد في إقليم أراكان، ثم اختلطوا على مر العصور مع المسلمين الذين ينحدرون من جذور عربية، وفارسية، وهندية وهاجروا إلى هذه المنطقة للتجارة واستقروا فيها وتزاوجوا مع أهلها. ولغة روهينجيا خليط من العربية والبنغالية. أما العرقية الثالثة داخل بورما فهي الماغ أو الموغ: ديانتها البوذية وتسكن مع المسلمين في إقليم أراكان، ويطلقون على أنفسهم ركهاين.

دخل الإسلام إلى بورما في عهد الخليفة هارون الرشيد، وتوسع في القرن السابع الهجري أي العهد المغولي بقيادة (سوجا). ويمثل الإسلام الديانة الثانية (١٠ ملايين مسلم) بنسبة ١٥٪ من السكان الذين يبلغ عددهم ستين مليون نسمة أغلبهم بوذيون. وهناك ديانات أخرى وثنية، تقوم على عبادة الأرواح والظواهر الطبيعية، أما النصرانية فقد دخلت مع المد الصليبي في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي.

ويعتبر القرن التاسع الهجري أزهى عصور المسلمين في هذه المنطقة؛ حيث كانوا حكاما في مملكتهم أراكان واستمروا في حكمها في الفترة ما بين ١٤٠٤ إلى ١٦٢٢م، وتعاقب على مقاليد الحكم في هذه المدة ٤٨ ملكًا وسلطانًا، وازدهرت فيها اللغتان العربية ، والفارسية، وكثر الكتاب والشعراء من المسلمين.

واستمر ازدهار الإسلام إلى أن جاء الغزو البريطاني لبورما فضمها للهند ، ثم فصلها فخضع المسلمون للحكم والسلطة الوثنية التي تحكم البلاد.

ومن المعروف أن المنطقة مرت عبر التاريخ بتقلبات، فهي قد خضعت لحكم المغول في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم جاء بعدهم الصينيون الذين مكثوا فيها حتى القرن السادس عشر الميلادي، ثم احتلتها بريطانيا بين عامي ١٨٢٤ و١٨٨٥م، وحل محلها اليابانيون عام ١٩٤١م، ثم استعادها الحلفاء أثناء الحرب

العالمية الثانية، واستقلت عام ١٩٤٨م. وبعد الاستقلال اعترفت الدولة بقومية (الروهينجيا) المسلمة التي تسكن إقليم أراكان، وعينت بعضهم في الوزارة والبرلمان، ولكن الوضع تغير بعد الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال (ني وين) عام ١٩٦٢م.

التحديات التي واجهت المسلمين في بورما

تعرض المسلمون في بورما لتحديات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية.

أولا: التحديات الاجتماعية:

كان الهدف الأساسي للحكومة البوذية الوثنية القضاء على الإسلام وأهله، وطمس هوية المسلمين وطردهم من أراضيهم، وتوطين طائفة (الماغ) البوذية مكانهم في منطقة أراكان، ولذلك استهدفتهم بالتطهير العرقي في أراكان خاصة وفي معظم مناطق بورما.

اتخذت الحكومة لتنفيذ هذه الخطة أساليب متنوعة، منها التفرقة العنصرية، وتطبيق نظام الطبقات الاجتماعية، وسحب الجنسية تحت ذرائع مختلفة. وعندما صدر قانون المواطنة عام ١٩٨٢م اعتبر المسلمين أجانب دخلاء قدموا إلى البلد أثناء الاستعمار البريطاني، وتم تصنيفهم مواطنين من الطبقة الثالثة. ولكن الدولة البوذية رأت أنها لم تحقق الهدف المنشود بإصدار القانون، فقامت بحملات عسكرية استمرت ثلاثة قرون، أي الفترة ما بين ١٤٤٢- ١٧٨٥م مارست فيها أبشع أنواع الظلم والاضطهاد المتمثل في الترويع والتعدي على المحصنات، وحرق البيوت والممتلكات، وقطع الطريق، وأسر كثير من المسلمين واستخدامهم في الحقول وبناء المعابد بدون مقابل.

وترتبت على هذه الخطة حملات تطهيرية بلغت تسع عشرة حملة، ومجازر جماعية راح ضحيتها ما يربو عن ٢٥ ألف مسلم، أكثرهم من النساء والشيوخ والأطفال ، وانتهكت أعراض أكثر من٢٥٠٠ مسلمة، ودمرت ٩٠٠ مسجد، وأحرقت نحو ٨٩٥ قرية مسلمة، وفقد في أغلب البيوت وخاصة في منطقة أراكان رب الأسرة، وأدى ذلك إلى تعرض الأطفال للاتجار بهم من قبل جماعات مسلحة، والعمل الجبري في حقول الآخرين مجانا.

أما حملات التهجير والتشريد فبلغت ست حملات منظمة بدأت من عام ١٩٦٢م وحتى عام ١٩٩١م هاجر خلالها ما يقرب من مليون ونصف المليون مسلم استقروا في الدول الإسلامية المجاورة كباكستان الشرقية (بنجلاديش حاليا) التي قامت بجهود كبيرة لمساعدة المهاجرين، حيث أقامت تسعة مخيمات لإيوائهم من التشرد والضياع، وقدمت لهم الغذاء والكساء والخدمات الأخرى، كما عقدت اتفاقية دكا عام ١٩٧٨م ، وافقت حكومة بورما بموجبها على إعادة اللاجئين من بنجلاديش على ثلاث مراحل. واستقر بعض اللاجئين الروهينجيا في باكستان الغربية التي منحت مسلمي أراكان كل حقوق مواطنيها وعاملتهم معاملة الباكستانيين، وكذلك في ماليزيا، وتايلند، والهند، وبعض دول الخليج العربي كالمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية وغيرها من الدول الأوروبية وأمريكا اللاتينية التي تعاطفت معهم وقدمت لهم بعض التسهيلات.

وكانت أكبر الهجرات إلى المملكة العربية السعودية التي آوت ما يقرب من نصف مليون من المهاجرين الأراكانيِّين وساندتهم وعاملتهم معاملة خاصة إلى يومنا هذا، وكانت الهجرة إلى المملكة على أربع مراحل، الهجرتان الأولى والثانية هي الأكثر صعوبة؛ حيث كانت مشيا على الأقدام، واستغرقت مدة طويلة تصل في بعض الأحيان إلى عام كامل، وتمت الهجرة عن طريق اليمن أو سلطنة عمان. وتعرض الكثير من المهاجرين للموت، جراء الجوع والمرض والتيه في الصحراء والخطف وافتراس السباع في الطريق.

والهجرة الثالثة كانت عن طريق الهند وباكستان، حيث دخلوا إلى المملكة بجواز سفر من تلك البلدان. أما الهجرة الأخيرة فكانت ما بين ١٣٨٠- ١٣٩١هـ وهي هجرة جماعية حصلت عقب عملية إبادة البوذيين لقرى المسلمين بأكملها بحجة المواطنة غير الشرعية عرفت هذه الحملة بعملية (ناجامين، أو التنين الكبير).

استقر معظم المهاجرين في المملكة العربية السعودية؛ في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومدينة جدة، وقامت المملكة بتصحيح أوضاعهم، فحصل بعضهم على الجنسية السعودية، والآخرون على إقامة نظامية بجواز سفر باكستاني، أو بنجلاديشي، وهم الذين وصلوا قبل أربعين سنة، وأما الذين لم يتمكنوا من الحصول على الجواز فحصلوا على بطاقة تعريف خاصة بهم وتعرف بـ (البطاقة البيضاء).

وتتميز الجالية البرماوية بالمملكة بالحرص على الكسب الحلال؛ حيث ينخرطون في الأعمال المهنية كالسباكة، والنجارة، والكهرباء، والبناء، ويتمتعون بدماثة الخلق، والرضا بالقليل، والتعاون فيما بينهم، ومع المجتمع السعودي.كما أن أبناءهم يتميزون بقدرتهم على التطوير والبناء الذاتي، وأصبح بعضهم أطباء ومعلمين وأساتذة جامعات ومشايخ يشار إليهم بالبنان. ونسبتهم هي الأعلى ضمن طلاب المعاهد والمدارس الشرعية في مكة المكرمة، ويحفظ معظم أولادهم كتاب الله في حلقات الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ويمثلون فيها ٨٠٪. وعدد الذين تخرجوا من حلقات تحفيظ القرآن يصل إلى عشرة آلاف حافظ، وجلهم يعمل في التدريس في المدارس الخيرية، وحلقات تحفيظ القرآن، وفي مجال إمامة المساجد في الصلوات الخمس وصلاة التراويح في رمضان، ويدرس ٧٠٪من أبناء البرماويين في المدارس التي أنشئت لتعليم أبنائهم والتي تصل إلى خمس وخمسين مدرسة، وكذلك المدارس الحكومية، وأصبحوا الآن جزءاً من نسيج المجتمع السعودي، وأشربت قلوبهم عادات وتقاليد شعب هذا البلد الذي وقف معهم منذ أن وطئت أقدامهم بلاد الحرمين الشريفين، فوجدوا كلّ ترحيب وحفاوة، فأحسنوا في وفادتهم، وأغدقوا في رفادتهم، وقدمت لهم خدماتٍ جليلة من تصحيح الأوضاع نظامياً بمنحهم الإقامة حتى بدون جواز سفر. وتنظّم الجالية البورمية حملات توعوية في جميع الأحياء التي تسكنها بالتنسيق مع مكاتب التوعية والمراكز الاجتماعية لتوعية أبنائها بفضل هذا البلد، وما يجب عليهم فعله من ضرورة التقيد بالأنظمة المعمول بها، والتأكيد على مراعاتها واحترامها، وأن يكونوا أعضاء فاعلين رداً لجميل الفضل وكريم

الوفادة التي حظوا بها من لدن حكومة المملكة العربية السعودية.

وكان لهذه الجالية دور كبير في تسليط الضوء على مآسي إخوانهم في أراكان على المستوى المحلي والدولي، وذلك عبر مواقع إخبارية ووكالات أنباء متخصصة لقضية مسلمي بورما، والصحف والمجلات، وعدد من القنوات الفضائية، والمراكز الإعلامية الفضائية المتخصصة، منها المركز الإعلامي الروهينجي الذي أصدر فِيلما بعنوان «الإبادة الخفية»، وفيلما بعنوان (الأراكان المنسية) بالتعاون مع قناة المجد الفضائية، وفيلما آخر بعنوان (مسلمو الروهينجا مأساة إسلامية جديدة) بالتعاون مع قناة اقرأ الفضائية، واستطاعوا التواصل عن طريق هذا المركز مع (٣٤) قناة محلية ودولية، وخمس إذاعات محلية ودولية، وثماني مطبوعات من الصحف والمجلات لإبراز القضية.

ثانيا : التحديات السياسية والثقافية الفكرية والإعلامية:

واجهت المسلمين في بورما تحديات مختلفة في المجال السياسي، والثقافي نجملها في النقاط التالية:

• محاولة الحكومة نشر الثقافة البوذية من خلال إجبار أبناء المسلمين على الالتحاق بالمدارس التي تدرس التعاليم البوذية والشيوعية، ومادة الثقافة اللادينية وتعاليم بوذا.

• عدم السماح للموظفين المسلمين بأداء صلاة الجمعة إذا أرادوا الاستمرار في وظائفهم.

• اعتقال عدد كبير من العلماء والدعاة ورجال الأعمال، وعدم السماح للمنظمات بزيارتهم.

• عدم السماح بإدخال الكتب العربية من الخارج، ومصادرتها إن وجدت عندهم.

• إلقاء القبض على العلماء والدعاة وسجنهم وإحراق لحاهم إهانة لهم وحطا من قدرهم.

• تحويل ما يزيد عن ١٢٥ ألف مسلم إلى الديانة البوذية عنوة وقهرا.

• مصادرة العقارات الموقوفة للمساجد والمدارس الإسلامية.

• إنشاء المدارس التبشيرية داخل أراكان، وعلى حدود بنجلاديش بغرض التنصير.

• هدم أكثر من ثلاثمائة مدرسة دينية، أو إغلاقها بقرارات تعسفية وحجج واهية.

• انتشار الأمية والجهالة بسبب حرمانهم من المعارف العصرية المتنوعة.

• إجبار المسلمين على تغيير أسمائهم والتسمي بأسماء البوذيين.

• عدم الاعتراف بالمدارس الإسلامية، ورفض المصادقة على شهادتها.

• حل جميع المنظمات الإسلامية السياسية والثقافية والاجتماعية.

• إلغاء بث برامج الإذاعة باللغة الروهينجية من أكتوبر ١٩٦٥م.

• منع طباعة أي منشور باللغة العربية سواء الصحف والمجلات الإسلامية، أو الكتب الدينية.

• حرمان أبناء المسلمين من مواصلة التعليم العالي داخل الدولة وخارجها، ومن يذهب للخارج يطوى قيده من سجلات القرية، ويعرض أهله للمساءلة والمحاكمة، وإذا عاد يعتقل لفترة طويلة، ويتعرض للتعذيب، ولا يطلق سراحه إلا بعد دفع ضريبة باهظة.

• مطالبة المسلمين بكتابة القرآن بالحروف البورمية بدلا من الحروف العربية.

• تبادل الزواج بين المسلمين والبوذيين، وخلع المسلمات الحجاب الإسلامي.

موقف المسلمين في بورما من هذه المعاملات التعسفية.

لم يقف الروهينجيون مكتوفي الأيدي أمام هذه الهجمات الشرسة، والقوانين المجحفة، بل رفضُوا الخضوع لها، وأعلنوا تمسكهم بأحكام الإسلام، على الرغم مما يحدث لهم، حيث يُذبَحون ويُحَرَقون وتُهدَم بيوتهم وتُغتصب نساؤهم؛ لأنهم آمنوا بالله واستمسكوا بشريعته، ويتمثلون قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٨)... حكايةً عن العذاب الذي وقع على المؤمنين على أيدي أصحاب الأخدود.

وقاموا بتأسيس الحركات الجهادية، والمنظمات التحريرية في داخل بورما وعلى الشريط الحدودي بين منطقة أراكان ودولة بنجلاديش، وعلى حدود تايلاند، وبدأوا الكفاح المسلح بتأسيس المعسكرات لتدريب الشباب المقاومين للقيام لردع العدو، ومناصرة المستضعفين والدفاع عن مقدساتهم، كما قامت هذه المنظمات بتوسيع علاقتها بالعالم ولجنة حقوق الإنسان، وبعض المؤسسات الخيرية مما جعل الدولة ترفع الضغوط عن المسلمين بعض الوقت، وتلبي المطالب التي تقدمت بها هذه المنظمات وهي كالتالي:

١. إعطاء الحرية الدينية للمسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية، وعدم التدخل في شؤونهم الدينية.

٢. منح حرية التنقل لهم داخل البلد وخارجها أسوة بالمواطنين الآخرين.

٣. السماح لهم بتكوين أحزاب سياسية وتمكينهم من حق المشاركة في الانتخابات العامة للدولة.

٤. إرجاع حقوق وممتلكات المسلمين، التي سلبت منهم قهرا .

٥. فتح أبواب المدارس والجامعات الحكومية لأبناء المسلمين للالتحاق بها.

٦. توظيف المسلمين في الدوائر الحكومية، أسوة بالمواطنين الآخرين.

٧. الاعتراف الرسمي بمواطنة المسلمين في أراكان.

أشهر هذه المنظمات والهيئات:

١. منظمة التضامن الروهينجي الإسلامية في أراكان، المعروفة بـ «أرسو»

٢. جبهة التحرير الإسلامية، تأسست عقب أعمال العنف ضد المسلمين في قرى «مولين ومرتابان».

٣. الجبهة الإسلامية الأراكانية، المعروفة بإسلامك فرنت، أسسها نور الاسلام والسيد شبير حسين.

٤. منظمة الجهاد الإسلامي في بورما، تأسست عام ١٩٨٩م.

٥. المؤسسة الدفاعية الإسلامية بقيادة السيد إسماعيل داود شاه.
٦. جمعية العلماء الروهينجيين بأراكان.
٧. جمعية علماء الإسلام برئاسة المفتي محمود داود.
٨. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٩. المؤسسة الإسلامية لتحقيق الحرية بقيادة الجنرال علي بائنغنابلون.
١٠. رابطة الطلاب المسلمين الروهينجيين. تأسست في باكستان لتسهيل سبل التعليم والحصول على المنح الدراسية لهم من جامعات العالم الإسلامي في التخصصات المتنوعة، وإقامة المخيمات بين الطلاب الروهينجيين الموجودين في مختلف الدول الإسلامية.

وقد أدت هذه المنظمات رسالتها على أكمل وجه في سبيل الإبقاء على الإسلام في بورما، ونشر ثقافته حسب إمكاناتها وقدراتها، واستطاعت كذلك استرداد حقوق المسلمين في جميع مجالاتها، لكنها تلاشت في الآونة الأخيرة بسبب قيام الدولة بأعمال صارمة للسيطرة الكاملة على جميع مناطق البلد بما في ذلك الحدود والمعابر، واضطر كثير من المتعلمين والمفكرين والقادة العسكريين في الجبهات للخروج من البلد، وهي لا تزال تمارس نشاطها من الخارج.

جهود رابطة العالم الإسلامي في خدمة قضية أراكان:

مر المسلمون في أراكان المسلمة بأدوار متباينة عبر تاريخهم الطويل وصراعهم المرير مع القوى البوذية، ونالت قضيتهم اهتمام جهات عديدة في العالم الإسلامي وغيره منها رابطة العالم الإسلامي، فقد اهتمت بقضية مسلمي بورما ولا تزال، إذ تمتد جهودها لأكثر من نصف قرن والتي تتمثل في المجالات التالية:

• التحرك على المستوى الإقليمي والعالمي لشرح مآسي الأقلية المسلمة في بورما.
• إصدار بيانات تنديد وشجب، ومطالبة الحكومات العربية والإسلامية القيام بذلك.
• عرض القضية على الأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان وجميع الدول ذات العلاقة ببورما.
• ناشدت الشعوب الإسلامية لتعرب عن استنكارها للحكومة البورمية على أعمالها التعسفية.
• طالبت جميع الدول الإسلامية بإعادة النظر في علاقاتها مع الحكومة في بورما.
• اهتمت الرابطة بقضية مسلمي بورما في أغلب الدورات التي يعقدها المجلس التأسيسي، ففي الدورة الثامنة التي عقدت سنة ١٣٨٦هـ، قرر المجلس أن تقوم الرابطة بعلاج المشكلة وحلها مع الجهات البورمية، ولكن جهودها لم تصل إلى نتيجة ذات أثر إيجابي، فلذا قرر المجلس في دورته الثانية عشرة رفع الأمر إلى المقام السامي لمطالبة الجهات المعنية في بورما بتحقيق الحرية الدينية للمسلمين، وفي دورته الرابعة عشرة قرر المجلس أن يبعث برقية إلى رئيس الدولة في بورما بشأن منع حكومته للأقلية المسلمة فيها من أداء فريضة الحج، مع استنكار هذا الموقف. وفي الدورة السادسة عشرة درس المجلس تفاقم الوضع وتزايد الإجراءات التعسفية التي يتعرض لها المسلمون في بورما، فقامت الأمانة العامة بتعميد ممثلها في الأمم المتحدة لتقديم مذكرتي احتجاج إلى لجنة حقوق الإنسان، ولجنة الصليب الأحمر الدولية. وفي الدورة السابعة عشرة أوصى المجلس بالاهتمام بوضع المسلمين في بورما، وتحسين أحوالهم، ومساعدتهم على التمسك بعقيدتهم الإسلامية، وإرسال المصاحف باللغة العربية والمترجمة إلى اللغتين الأردية والإنجليزية، وإرسال الكتب الدينية، وتقديم المنح الدراسية للطلاب المسلمين في الجامعات الإسلامية. كما أرسلت الأمانة العامة مذكرة إلى المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في إسطنبول سنة ١٣٩٦هـ، وتضمنت مطالب عدة. وفي دورته الثامنة عشرة أوصى المجلس بدعوة ممثل عن كل منظمة من المنظمات الإسلامية الست المعترف بها لدى الحكومة البورمية للتشاور معها في السماح للمسلمين بأداء فريضة الحج لعام ١٣٩٧هـ. كما أوصى المجلس بإرسال وفد إلى بنجلاديش لتقصي الحقائق، وتفقد أحوال اللاجئين في المعسكرات التي أعدت لهم، وهو أول وفد إسلامي وصل إلى معسكرات النازحين، وقام بتزويد اللاجئين بمستشفى كامل الإعداد مع الأطباء والممرضات وأئمة المساجد.

• وبعد زيارة الوفد أصدر المجلس التأسيسي بيانا يستنكر فيه الجرائم الوحشية التي أقدمت عليها حكومة بورما، وأكد على قراراته وتوصياته السابقة بخصوص مسلمي بورما، وما يتعرضون له من اضطهاد.
• استنكر المجلس موقف الحكومة البورمية إزاء إصدار قانون الجنسية الذي يطالب المسلمين بإثبات أصولهم البعيدة حتى ما قبل مائة وخمسين سنة، مما يؤكد للمجلس أن هذا القانون إنما سنته حكومة بورما ضد المسلمين لحرمانهم من حق المواطنة الطبيعي المكتسب لهم.
• أوصى المجلس الحكومات الإسلامية التي تقيم علاقات سياسية مع حكومة بورما بإقناعها برفع الظلم عن المسلمين في بورما، ومنحهم حقوقهم المشروعة لهم كبقية المواطنين.
• مطالبة منظمة التعاون الإسلامي بأن تتبنى قضية المسلمين في بورما ودراسة إمكان إثارتها أمام الأمم المتحدة.
• مطالبة سفارات الدول الإسلامية برقم ٥٨٠٠ وتاريخ٤-٥-١٤٠٤هـ بالتكرم بإبلاغ القرارات الصادرة من المجلس التأسيسي للرابطة في دوراته المختلفة لحكوماتهم للعمل على إنفاذها.
• وجه المجلس خطابا لسكرتير عام الأمم المتحدة برقم ٥٧٥٦ يطالبه ببذل جهوده ومساعيه لدى الدول الأعضاء في المنظمة للضغط على حكومة بورما لإعطاء المسلمين حقوقهم المشروعة والسماح لهم بممارسة شعائرهم بكل حرية.
• وجه المجلس خطابا لأمين عام منظمة التعاون الإسلامي برقم ٥٧٥٥ يطالبه ببذل جهوده لدى الدول الإسلامية الأعضاء للعناية بقضية المسلمين البورماويين.
• لم تتوقف جهود الرابطة حتى اليوم، فهي تنتهز كل مناسبة لتوجه النداء إلى الدول الإسلامية تذكرها بقضية المسلمين في بورما، كما أن الأمين العام للرابطة معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى أصدر بيانا يندد فيه بما تقوم به الحكومة الميانمارية من أعمال تعسفية ضد الأقلية المسلمة هناك.

المسلمون في المجتمعات الغربية

نحو فكر وسطي ومنهج اعتدالي

د. علال الزهواني

رئيس المنتدى الأوروبي للوسطية ببلجيكا

ينقسم المسلمون في الدول الغربية إلى نموذجين من خلال النظر في طبيعة التفكير والكيفية التي ينتظمون بها، ويتراوح هذان النموذجان بين الانحلال التام في بوتقة الثقافة الغربية أو الانغلاق على الذات باسم الدين والخوف من الذوبان نتيجة مبررات لا شرعية ولا عقلانية، وكلاهما لا يخدم الإسلام عقيدة ولا ثقافة بل يقدمان صورة مشوهة، ولذلك فالمسلمون في الدول الغربية يحتاجون إلى نموذج ثالث ينسج نظرة إسلامية معتدلة، ويتسم تفكيره بالوسطية وسلوكه بالاعتدال، ويعتبر خير ما يراهن عليه ضمن المجتمعات التي يعيشون فيها، بحيث يحافظون على الثقافة الإسلامية، وفي نفس الوقت يراعون طبيعة البيئة التي يعيشون فيها، وهو مسلك ملائم لترتيب الوجود الإسلامي في الدول الغربية، وقد تشكلت بعض ملامح هذا النموذج حيث تعالت أصوات ونشأت أفكار تنادي بتحسين صورة الإسلام في المجتمعات الغربية، والكشف عن صوره المشوهة، وبدأت تشق لها منهجا وسطيا يتجاوز النظرة النفعية ويرفض الذوبان في الثقافة الغربية، ويتجلى منهجه الحياتي في الاندماج الإيجابي والعيش المشترك في إطار القيم الإنسانية المشتركة.

ولقد أصبح للمسلمين في الدول الغربية ثقل حضاري يتجاوز القضايا التقليدية ذات الطابع الفردي إلى قضايا أكبر دلالة وأعمق أثرا مرتبطة بالهوية الإسلامية ورسالة المسلم وصلته بأمته الإسلامية، وقد حاول البعض الإجابة على المسائل الفردية بمنطق الضرورات والنوازل ناسين أنه منطق هش لا يتسع لأمور ذات بال، كما واجه المسلم فوضى الإفتاء من طرف بعض الفقهاء، فهذا يحل وذاك يحرم، وثالث يستند إلى أنه يجوز في الدار غير الإسلامية ما لا يجوز في دار الإسلام، ورابع يقيس الواقع الحاضر على الماضي الغابر قياسا لا يأبه بالفوارق النوعية الهائلة بين مجتمع وآخر، وبين حقبة تاريخية وأخرى، بل لا يأبه بالقواعد الأصولية لمنع قياس فرع على فرع، فكانت النتيجة المنطقية لهذا المنطلق المنهجي الخاطئ إيقاع المسلمين في البلبلة والاضطراب، وتحجيم دورهم المرتقب، والحكم عليهم بالعزلة والاغتراب، وإعاقة الحياة الإسلامية، وفرض التخلف عليهم، وإظهار الإسلام بمظهر العاجز عن مواجهة أسئلة الحضارة والعمران المستنير في عصر العولمة. (مجلة إسلامية المعرفة، عدد التاسع عشر ص ١٢، بتصرف).

ولذلك فالمسلمون بحاجة في قضاياهم إلى اجتهاد وسطي يلبي طموحاتهم ويربطهم بجسم الأمة الإسلامية في بناء جسور الحوار الحضاري، وإلى ضرورة تحديد الخطاب الإسلامي الملائم للمجتمعات الغربية، وتوظيفه للمعارف الإنسانية الجديدة، مثل الأوضاع الاجتماعية والمهنية والمشاركة

الوجدانية والمصاحبة النفسية باستخدام أدوات منهجية مستنبطة من أصول الفقه، وتدريب أبناء المسلمين على هذا الخطاب لتنمو لديهم القدرة على التحدث به بكل إتقان وسهولة ودون تكلف أو تصنع، كما تنمو لديهم القدرة على إبداعات فكرية وبدائل مع الالتزام بالنصوص الشرعية الثابتة في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية وكلياتها، وذلك من خلال فهم شامل للقضايا بمختلف أبعادها وفي كل صورها، مع الأخذ بعين الاعتبار الممارسات التاريخية والمعاصرة والحلول المطروحة من قبل القوانين المحلية والاتفاقيات الدولية المنعقدة بين دول العالم الإسلامي والدول الغربية التي تحمي المسلمين في دينهم وأموالهم وأعراضهم. (القاموس السياسي، ص ٩٦).

كما ينبغي ضرورة تخريج علماء ملمين بعقلية الغرب وقوانينه، يجمعون بين التجارب الإسلامية العملية والنظر الفقهي المتحرر، والجانب الإيجابي للحضارات الغربية، مع الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه دون إغفال للغلو الديني والتطرف الإيديولوجي بفكر وسطي ومنهج اعتدالي، والحرص على رفع التعارض بين الشريعة الإسلامية وقوانين الدول الغربية بوضع حد للمفارقة الوهمية التي يعيشها المسلمون بين المواطنة الغربية والإسلام، ليكونوا في تناغم تام مع النفس والمجتمع، فالمواطنة الغربية تعطي شرعية للحضور الإسلامي، وتضفي عليه حماية دستورية وقانونية تصون أمنه وأمانه، وتحمي حقوقه. وفي هذا السياق قد أصدر المجلس الأوروبي للإفتاء قراراً بشأن المواءمة بين التقيد بالثوابت وبين مقتضيات المواطنة حيث يقول: «يقصد بالمواطنة الانتماء إلى دولة معينة أرضاً وواقعاً، وحمل جنسيتها، ويقصد بالثوابت الإسلامية الأحكام الشرعية الاعتقادية والعملية والأخلاقية التي جاءت بها النصوص الشرعية القطعية أو أجمعت عليها الأمة الإسلامية، ويشمل ذلك ما يتعلق بالضروريات الخمس، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ومشروعية إسهام المسلمين في الأنشطة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية التي لا تتعارض مع الثوابت المتقدمة، ولاسيما إذا اقتضت المواطنة ذلك شريطة ألا تهدد هويتهم وشخصيتهم الإسلامية» ، كما قرر بخصوص الولاء ما نصه: «إن الولاء رباط وثيق، يربط الإنسان بعلاقة خاصة ووشيجة حميمة تنشأ عنه التزامات وحقوق وواجبات، وهذه العلاقة ذات أوجه مختلفة وأبعاد متعددة، فالولاء قد يكون للعقيدة، وقد يكون للنسب والقوم، وقد يكون بالعهد والعقد، وقد أشار القرآن إلى هذه المعاني جميعاً، وأعلى هذه الولاءات منزلة الولاء للعقيدة الذي يدخل فيه الإيمان بأركانه، وما يترتب على ذلك من ممارسة الشعائر، والالتزام بالأخلاق الفاضلة، وهذا الولاء لا يتناقض مع الولاء

للوطن الذي يرتبط معه الإنسان بعقد المواطنة، فيدافع عن حوزته ضد أي اعتداء». (المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العددان ، ١٠، ١١ الجزء الثاني، مايو ٢٠٠٧م).

وينبغي كذلك الاجتهاد للملاءمة بين الإسلام والعلمانية في المجتمعات الغربية، ليعيش المسلمون في تناغم مع النفس والمجتمع، دون التخلي عن الهوية الثقافية، وإبداع نموذج من التدين يستجيب للبيئات الغربية مع الوعي بحدود الفقه الموروث في معالجة قضايا المسلمين.

فعلى ثراء هذا الفقه وتنوعه وغناه وتشعبه، فقد أصبح أغلبه جزءا من التاريخ لأسباب تتعلق بالمنهج وأخرى بتحقيق المناط، حيث لم يرتب بعض الفقهاء مصادر التشريع الترتيب الذي يعين على حسن الاستنباط، وهو جعل القرآن الكريم المصدر التأسيسي واعتبار السنة النبوية مصدرا بيانيا مكملا وتابعا له، كما أن أكثر الفقهاء لم يأخذوا بعين الاعتبار عالمية الإسلام في التنظير الفقهي لعلاقة المسلمين بغيرهم، بل عبروا عن نوع من الانطواء على الذات لا يتناسب مع خصائص الرسالة الخاتمة والأمة الشاهدة حيث تأثروا بالأعراف السائدة في عصرهم حول التقسيم الدولي للعالم، فضاقت نظرتهم للموضوع فابتعدوا عن المفهوم القرآني للجغرافيا».

أما الأسباب المتعلقة بتحقيق المناط فينبغي الفهم العلمي للواقع الذي يفرز المستجدات والنوازل كما أفرزتها الأوضاع المجتمعية للمسلمين، وهذا ما سماه الأصوليون بتنقيح المناط وتخريجه وتحقيقه، يقول ابن القيم الجوزية: «النوع الثاني فهم الواقع والفقه فيه، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر...فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله». (إعلام الموقعين١/٨٨).

فلم يعتد المسلمون في تاريخهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على اللجوء إلى البلدان غير الإسلامية طلبا لحق مهدر أو هربا من ظلم مفروض، بل كانت بلاد الإسلام في الغالب أرض عز ومناعة، ولم تكن تفصل بينها حدود سياسية، فكلما ضاقت بمسلم أرض، أو انسدت عليه سبل تحول إلى ناحية أخرى من الإمبراطورية الإسلامية الفسيحة دون أن يحس بغربة أو تعتريه مذلة...كما أن الفقهاء الأقدمين لم يعيشوا الوحدة الأرضية التي نعيشها اليوم، حيث تتداخل الثقافات وتعيش الأمم في مكان واحد، وإنما عاشوا في عالم من جزر منفصلة، لا تعايش بينها ولا تفاهم، فكان فقه الحرب طاغيا بحكم مقتضيات الواقع يومذاك، وما نحتاجه اليوم هو فقه التعايش في واقع مختلف كما ونوعا».مدخل إلى فقه الأقليات ، نظرات تأسيسية ، طه جابر العلواني (مجلة إسلامية المعرفة ١٣).

فيجب الانطلاق في معالجة القضايا الكبرى للمسلمين في الدول الغربية من كليات القرآن الكريم وغاياته وقيمه العليا ومقاصد شريعته ومنهاجه القويم ، والاستنارة بما صح من سنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تطبيقاته للقرآن وقيمه وكلياته ،كما ينبغي الإفادة مما كتبه أهل المقاصد والأصول في باب التمييز بين الوسائل والمقاصد في تنزيل الأحكام الشرعية. ووجود المسلمين في الدول الغربية يساعد على توفير شروط التجديد بمعرفة المجتمعات الغربية عن كثب، و هذا يعتبر فرصة من ذهب لتقديم خدمات جليلة من طرف الحداثة الغربية للفكر الإسلامي.

ويبقى ترتيب الوجود الإسلامي بشكل دائم وصحي في المجتمعات الغربية مرهونا بمدى نجاعة المسلمين فيها، والكيفية التي يحضرون بها هي التي تحدد المكانة والقيمة لهم، وعليه فالمسلمون مطالبون بتحسين حضورهم بالسلوك الحسن، والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية الفعالة، والإسهام السياسي المستمر، والإنتاج الثقافي الهادف والتوجيه التربوي الصارم، ويتطلب هذا الانخراط السلمي للمسلمين في الواقع الغربي فقه الواقع فقها جيدا لإنزال الشرعية الإسلامية وتطبيقها في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية وكلياتها، فلذلك يحتاج هذا الوجود في الغرب إلى فقهاء مدققين ورعين لا يتصورون أن دورهم مجرد دور الفقيه الذي يأتي بالأحكام الشرعية للناس ويقول: هذا حلال وهذا حرام، وإنما عليهم أن يقوموا بدراسة هذا الواقع الغربي من خلال أهل الاختصاص، يقول الإمام القرافي: «إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه، وأفته به دون عرف بلدك ودون المقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح» (الفروق للقرافي ١/١٩١).

فهناك دور لأهل الاختصاص في كل علم لتوصيف هذا الواقع قبل أن تنزل الحكم الشرعي عليه، وبعد هذا يأتي دور الفقهاء لأن أهل الاختصاص كالطبيب والسياسي والاقتصادي وغيرهم قد تكون لهم الكلمة العليا في كثير من القضايا، ومن ثم فإن فقه الواقع الذي يعيش فيه المسلمون يسهم كثيرا في ترسيخ الفكر الوسطي للإسلام القادر على استيعاب الزمان والمكان، الذي يدفع المسلمين إلى مزيد من الخير والعدل والسلام والأمن والاستقرار.

قصيدة الموريسكي إلى بايزيد العثماني "فصل من المأساة"

ما أشبه الليلة بالبارحة!

د. آمنة بن منصور

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت، الجزائر

تمهيد:

لا نبالغ إذا قلنا إن الأندلس لم تعرف الاستقرار و السلام والأمن التام منذ فتحها، بسبب الثورات الداخلية من جهة، وأطماع الأعداء في الشمال من جهة أخرى، فضلا عن انقسامات دويلات الطوائف وتحالف حكامها مع الإسبان ضد بعضهم بعضا. هذه الأمور مجتمعة أدت إلى سقوط مدن الأندلس الواحدة تلو الأخرى أمام مرأى الأندلسيين الذين عجزوا عن الدفاع عن مدنهم، باستثناء بعض الثورات التي سرعان ما أخمد الإسبان نارها. وقد كانت رسائل الاستصراخ إلى حكام بلاد الإسلام آخر بصيص من الأمل، طمع الموريسكيون من خلالها أن يسمعهم (طارق) أو(داخل) أو (منصور)، ولكنهم ما أسمعوا إلا قليلا. وما عساه يفعل القليل أمام كثرة طاغية حاقدة كان لها السبق في كتابة أكثر الصفحات سوادا في التاريخ.

و بعد، فإن القصيدة الموريسكية المختارة قد أجمع الدارسون على ركاكتها وضعفها لغة وأسلوبا، غير أن الذي استرعى انتباهنا، وجعلنا نتوقف طويلا عندها، هو أن الشاعر لم يبدأ القصيدة مباشرة، بل قدم لها بمقدمة نثرية قصيرة وردت بلغة راقية، وأسلوب جميل، وألفاظ جزلة، بخلاف لغة القصيدة التي جاءت مبتذلة، مما يفتح الباب أمام تأويلات عدة، لعلنا نستشف بعضها في الصفحات التالية.

الموريسكيون بين دلالة المصطلح ومأساة التاريخ:

تضاربت الآراء حول مفهوم دقيق لمصطلح الموريسك بعيدا عن الحسابات السياسية والعرقية، فقد ورد في قاموس التاريخ الإسباني أن مفهوم كلمة الموريسكيين يعني: مسيحيي إسبانيا المنصرين بالقوة.

ويوافق هذا الرأي محمد عبدالله عنان الذي يرى أن الموريسكيين هم الذين تنصروا عنوة، ومن حينها سموا كذلك، وأن هذا المصطلح يعني أيضا المسلمين الأصاغر أو العرب المتنصرين، أما نحن فنرجح ارتباط مصطلح الموريسك بآخر مسلم حكم الأندلس، وكل من أدرك سقوطها، سواء أرغم على اعتناق المسيحية أو هُجّر أو قتل.

وجاءت كلمة مورو من اسم الموريسكيين، ومورو ظلت تستعمل في سياق تحقيري مشحون بدلالات عنصرية ثم دخلت إلى العربية وأخضعت لتصريفاتها في صور متعددة: «الموريسكيون، المواركة، الموريسكوس».

ومثلما اختلف الدارسون حول سبب التسمية، اختلفوا أيضا حول تاريخ بدايتها، فقد ذهب بعضهم إلى أن التاريخ الموريسكي يبدأ مع سقوط غرناطة، وبداية حركة الاسترداد، بينما يعتقد المؤرخ الفرنسي لوي كارديناك أن مصطلح الموريسك ظهر بهذا المفهوم حوالي سنة ١٥٦٠، ليشمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه الجزيرة بعد سقوط غرناطة وأرغموا على اعتناق المسيحية الكاثوليكية.

المأساة:

لم تكن الأندلس الموطن الأصلي للعرب، على غرار الجزيرة العربية، ولكنهم وفدوا إليها من أقاصي الأرض ودانيها، وقد كان الوافدون إليها يشعرون -لأمر ما- بالغربة والشوق إلى موطنهم الأصل، فمن غريب الصدف أن يكون أول شعر أنشد في هذه الجزيرة أبيات في تصوير الغربة والحنين إلى المشرق تنسب لعبدالرحمن الداخل، يخاطب فيها نخلة منفردة، فيربط بين الغربتين:

نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

ربما أدرك عبدالرحمن الداخل أن بقاءه والمسلمين في هذه الجزيرة مسألة وقت فقط طال أم قصر. فالموقع الجغرافي البعيد عن المشرق، والتكوين السكاني والعقدي المعقد لساكني الجزيرة، وأعين الإسبان التي ترصدهم باستمرار، كل ذلك من شأنه أن يعجل برحيل المسلمين. وصحيح أنهم أدركوا من الأندلس ثمانية قرون، وتركوا بصماتهم فيها، وصنعوا تاريخها وأمجادها، وأثخنوا في الأعداء، ولكنهم ضيعوها، ولم يعد يجدي النوح والبكاء، فمحاكم التفتيش نصبت خيامها، ونشرت عيونها، وشحذت سكاكينها، وعلقت نواقيسها وصلبانها، في محاولات حثيثة للقضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس قضاء مبرما. وقد بدأت سياسة الترهيب والترويع على مراحل، وفي كل مرة كان الموريسكيون يصمدون ويقاومون، حتى انتهى مصيرهم إلى الحرق والتنكيل بهم، ثم طردهم من الجزيرة كلها وهو الأمر الذي لم يتقبله الأندلسي فهو يرى نفسه «صاحب أرض عاش عليها ٩٠٠ سنة، وصاحب بيت ضمه وضم أباه وجده.. لذا له الحق في الاستمرار في البقاء في إسبانيا يعادل حق الاسباني إن لم يتفوق عليه». وما من شك في أن أشد أنواع الغربة قسوة، الغربة عن الوطن والابتعاد عنه، فحري به أن يتمسك بأرضه ووطنه، إذ لا ملجأ آخر له.

ولعلنا نختم هذا الجزء من المأساة، بوصف المقري لحال مسلمي الأندلسي غداة سقوطها، إذ أحسن وأجاد فقال: «فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه، لكان كل مسلم يندبه ويبكيه، فقد عبث البلاء برسومه، وعفّى على أقماره ونجومه، ولو حضرتم من جبر بالقتل على الإسلام وتُوعد بالنكال والمهالك العظام، ومن كان يعذب في الله بأنواع العذاب، ويُدخل به من الشدة في باب، ويُخرج من باب، لأنساكم مصرعه، وساءكم مفظعه...» .

مناسبة القصيدة:

تشير الوثائق إلى أن السلطان سليم الثاني كتب إلى الموريسكيين يعدهم بالمساعدة.. [وذلك] بتموينهم بالأسلحة من الجزائر، ولكن المساعدة الحقيقية التي حصلوا عليها كانت محدودة، وما وصل منها كشفه النصارى وصادروه «، فقد كانت الموانئ تحت مراقبة شديدة وذلك لتوجس قادة الإسبان خيفة من اتحاد كلمة الموريسكيين مع العثمانيين، الأمر الذي جعلهم يقطعون الطريق على رسلهم إلى إسطنبول طلبا للنجدة.

والقصيدة التي بين أيدينا، وكما أوردها المقري في أزهاره، «ما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها، للسلطان أبي يزيد(وفي رواية بايزيد «Bayazit») خان العثماني رحمه الله»، وهي ليست الرسالة الأولى التي يستنجد فيها أهل الأندلس بالأتراك، إذ سبقتها رسائل بعضها وصل وبعضها ضاع، ويمكن تقسيمها على قسمين: قسم نثري افتتحه الشاعر بالثناء على السلطان، وذكر مآثره ومناقبه ونصرته للإسلام، متمنيًا له دوام النصر والعزة، ومنها قوله: «سلطان الإسلام والمسلمين قامع أعداء الله الكافرين.. ملك العرب والعجم، والترك والديلم، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه. . مولانا أبو يزيد لازال ملكه موفور الأنصار مقرونًا بالانتصار».

أما القسم الثاني فهو القسم الشعري الذي ولج إليه مباشرة بطريقة فنية رائعة، إذ قال: .. سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد:

سلام كريم دائم متجدد أخص به مولاي خير الخليفة

إلى آخر القصيدة.

جماليات القصيدة:

سبق وأشرنا إلى أن لغة القصيدة بسيطة قد لا ترقى لتتبع جماليات الأسلوب فيها، وربما يعزى هذا إلى أن الموريسكي الذي فرضت عليه قوانين تعسفية ظالمة، كان حريصا على إنقاذ حياته وحياة من يعولهم، والحفاظ ما استطاع على أرضه وممتلكاته، أكثر من حرصه على إتقان الشعر، وتحبير الرسائل، يشهد بذلك التراجع الرهيب للحركة الأدبية قبيل سقوط الأندلس، حتى قبل فرض حظر التكلم بالعربية وإحراق الكتب الأندلسية.

ولعلنا لسنا بحاجة إلى دراسة قصيدة قوية اللغة، والأسلوب والسبك، كقصائد ابن زيدون، وابن هانئ والمعتمد وابن دراج وغيرهم، بقدر ما نحن بحاجة إلى تلمس جماليات لغة الموريسكيين الموسومة بالبساطة والعفوية، المشحونة بالعواطف الإنسانية والإشارات التاريخية.

العنوان:

العنوان كما هو معروف عتبة النص التي منها نلج إلى القصيدة، فنبحر في خباياها ونتلمس أسرارها، ونقف على جمالها.. ولهذا يحرص الشعراء- المحدثون خاصة-على اختيار عناوين قصائدهم حرصهم على إخراجها في أحسن حلة، فالعنوان بالنسبة للمبدع «اسم علم يعرف به هذا المولود الجديد، ويعبر عن مشاعره نحوه، وغالبا ما تكون هذه المشاعر غامضة مختلطة...ومعنى ذلك أن العنوان ذو صلة عضوية بالقصيدة».

غير أن شاعرنا من العصور القديمة التي لم يكن فيها الشعراء يعنون كثيرا بعنونة قصائدهم «اكتفاء بدلالة المطلع، وكانت براعة المطلع من صفات البلاغة»، وإذا وقفنا على مطلع القصيدة نجده قد استهله بالسلام الذي وجهه خصيصا لحاكم القسطنطينية بايزيد، وقد كرره غير مرة، ليدل على شدة حاجة أهل الأندلس المضطهدين لمساعدة هذا الحاكم القوي، المؤيد بالنصرة من الله، يقول:

سلام كريم دائم متجدد
أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذي المجد والعلا
ومن ألبس الكفار ثوب المذلة

وهكذا يمضي الشاعر في الثناء على الخليفة إلى أن يصل إلى

سرد معاناة الأندلسيين الذين يقرؤونه جميعا السلام، راجين المعونة والخلاص، إذ يقول:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا
بأندلس بالغرب في أرض غربة
سلام عليكم من عبيد أصابهم
مصاب عظيم يا لها من مصيبة

ويسرد في أبيات ينفطر لها الفؤاد، وتدمع لها المآقي، مآسي أهل الأندلس المغدورين، إذ لم يسلم منهم شيخ أو امرأة أو طفل، يقول:

سلام عليكم من شيوخ تمزقت
شيوبهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت
على جملة الأعلاج من بعد سترة

إن القصيدة وإن خلت من العنوان الذي يفتح أمامنا الباب للولوج إلى عالم الشاعر، إلا أن مطالعها كانت كافية للدلالة على ما يرومه شاعرنا من خلال لفظة السلام التي جعلها كاللازمة، ولهذه الكلمة وقعها على النفس إذ لم يعد الأندلسي ينشد شيئا غير الأمن والسلام.

البنية الإيقاعية والدلالية:

لا نبالغ إذا قلنا إن القصيدة برمتها مبنية على التأثير الصوتي المتأتي من الموسيقى الداخلية والخارجية، وكأننا بالشاعر يعزف سيمفونية الأندلس الأخيرة، مرتكزا في ذلك على صيغ كثيرة، كالتكرار الذي استهل به قصيدته متمثلا في لفظة (سلام) وقد كررها مرات عدة في المقاطع الأولى، وهو ما يعرف بالتكرار الاستهلالي الذي «تتكرر فيه اللفظة أو العبارة في بداية الأسطر الشعرية بشكل متتابع أو غير متتابع»، ويعرفه محمد صابر عبيد بأنه «ضغط على حالة لغوية واحدة، وتوكيدها مرات عدة بصيغ متشابهة ومختلفة، من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين: إيقاعي ودلالي» .

وبعملية حسابية نجده كرر لفظة سلام أربع عشرة مرة، في القسم الأول منها وجه السلام منه إلى الحاكم مباشرة، وفي الثاني نجده رسولا حُمل السلام من أهل الأندلس، فكلمة السلام هنا مشحونة بحمولة دلالية وصوتية كبيرة، فهم كانوا يعيشون في سلام، ولا يرجون الآن غير السلام، ثم نجده في أبيات أخرى يكرر لفظة (آها) ست مرات، ومعروف ما تحمله هذه الكلمة من معاني التوجع والتفجع، وهي في الأصل تتكون من صوتين حلقيين، ففاجعة الأندلس ظلت غصة في حلق من أدرك المأساة، ومن قرأ عنها، يقول:

فآها على تبديل دين محمد ** بدين كلاب الروم شر البرية
وآها على أسمائنا حين بدلت ** بأسماء أعلاج من أهل الغباوة

وقد وفق شاعرنا في اختيار بحر القصيدة الطويل، فالمعاناة كبيرة، والطريق طويلة، والمآسي كثيرة، والدموع لا تنضب، والدماء لا تجف، ولا يصلح لهذا كله إلا بحر طويل بأنفاسه وتفعيلاته، وبالمقابل لم يوفق كثيرا في اختيار القافية التي فضلها تاء، وهي قليلة الاستعمال في الشعر العربي، حسب علمنا، إلا أن تكون مسبوقة بردف، بيد أن شاعرنا لم يفعل ذلك إلا قليلا، واكتفى بذكر كل الكلمات التي تضم التاء دون تمييز، يقول:

ونلقى أمورا في الجهاد عظيمة
بقتل وأسر ثم جوع وقلة
فجاءت علينا الروم من كل جانب
بسيل عظيم جملة بعد جملة
ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
بجد وعزم من خيول وعدة

ويبدو أن شاعرنا استعاض عن ذلك بالتزام بعض الحروف في صدور الأبيات مما أحدث جرسا موسيقيا آخر، مثل قوله:

فلما تفانت خيلنا و رجالنا
ولم نر من إخواننا من إغاثة
وقلت لنا الأقوات واشتد حالنا
أطعناهم بالكره خوف الفضيحة
وخوفا على أبنائنا وبناتنا
من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلة

البنية اللغوية:

الواقع أن شاعرنا وظف لغة بسيطة بكلماتها وتراكيبها فهي لا تحتاج جهدا كبيرا لفهمها، ولا قاموسا لشرح ما استغلق منها، إلا أننا نقف على بعض الملاحظات في صياغته لتراكيبه المشحونة بالعواطف والإيحاءات، ومن ذلك الحروف المشددة التي استعملها غير مرة للدلالة على الشدة التي يمرون بها من قبيل: المتجدّد، وسّع، المذلّة، أيّده، زيّن، شرّف، ملّة ..هذا في الأبيات الأولى فقط وغيرها كثير.

ومن جانب آخر فإننا نلاحظ جنوح الشاعر إلى تغليب الجمل الفعلية على الاسمية، ومن المعروف أن الفعل يدل على الحركة والتغير، وفعلا فقد تغيرت حياة هذا الموريسكي وكل من أدرك النكبة، من النقيض إلى النقيض، من الجنة إلى الجحيم، ومع ذلك ما يزال يرجو التغيير والخلاص على يد حاكم القسطنطينية.

وقد أحصينا في القصيدة ثلاثة ضمائر بارزة اتكأ عليها الشاعر ليوصل رسالته، بدءًا بضمير المتكلم الجماعة العائد على الشاعر وقومه، ومرورا بضمير المخاطب العائد على الحاكم، وانتهاء بضمير الغائب العائد على العدو، ثم إن شاعرنا اختار الواو أداة ربط بين الأبيات بعضها ببعض، وأوردها متتابعة كتتابع الأحداث التي مرت عليهم دونما انقطاع.

وقد وظف الشاعر أسلوب التوكيد بصيغه المختلفة توظيفا

لافتًا، فزيادة على تكرار بعض الكلمات ككلمة (سلام) في المقاطع الأولى، وجدناه يستعين بالاعتراض الذي يعد من أساليب التأكيد والتنبيه على السامع إلى الشيء المراد، في قوله:

فسل بابهم أعني المقيم برومة
بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانة ؟

فجملة أعني المقيم برومة، جاءت مؤكدة لشخصية البابا حتى لا يتوهم السامع أنه يقصد أحد قساوسة الإسبان، بل المقصود كبيرهم الذي إليه يلجأون وبأوامره يتبركون.

ويوظف التوكيد بصيغة أخرى في موضعين اثنين، مستعينا في ذلك بنون التوكيد الخفيفة، التي تصاحب غالبا الأسلوب الشعري، يقول:

ونبقي على آذاننا وصلاتنا
ولا نتركنْ شيئا من أمر الشريعة

فالشاعر يؤكد للحاكم أنهم متمسكون بدينهم تمسكا شديدا على الرغم من الضغوطات والملاحقات، ومحال أن يفرطوا في شعائره أبدا، ثم يقول في موضع مشابه:

وقد أمرونا أن نسب نبينا
ولا نذكرنّه في رخاء و شدة

يؤكد الشاعر مرة أخرى ما يلاقونه من ألوان العذاب، إذ يرغمون على سب نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، بل ويعاقب كل من ذكره أشد العقاب.

كما استعان الشاعر بـ (قد) التي تفيد التوكيد إذا اتصلت بالفعل الماضي، ذاكرا إياها ثماني مرات، منها قوله:

وقد سمعوا قوما يُغنّون باسمه
فأدركهم منهم أليم المضرة

من الواضح أن الشاعر تعمد توظيف صيغ التوكيد المختلفة، تأكيدا منه على معاناة الأندلسيين التي لم تعد تحتمل الانتظار أكثر .

ولعلنا نختم هذه الجزئية بالحديث عن الأساليب بنوعيها الخبري والإنشائي، وما يلاحظ تغليب الشاعر الخبر على الإنشاء إلا ما ورد منه عفويا، لأسباب منطقية أولها أن القصيدة في شكلها ومضمونها رسالة، ويغلب على الرسالة، كما نعلم، الأسلوب الخبري التقريري، وثانيها أن شاعرنا كان بصدد سرد الوقائع، ووصف الأحوال والأهوال التي يمر بها مسلمو الأندلس على يد الإسبان الطغاة، ومع هذا فقد خرج الخبر غير مرة عن غرضه الحقيقي إلى أغراض أدبية، من قبيل المدح في قوله:

سلام على مولاي ذي المجد و العلا
ومن ألبس الكفار ثوب المذلة

والشكوى في قوله:

شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
من الظلم و البلوى وعظم الرزية

والتحسر والتوجع في قوله:

وآها على تلك المساجد سورت
مزابل للكفار بعد الطهارة

والاحتقار في قوله:

ولاسيما عند الملوك فإنه
قبيح شنيع لا يجوز بوجهة

أما الإنشاء ففي مثل قوله:

فسل بابهم**أعني المقيم برومة
بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانة ؟

في البيت أمر واستفهام، أراد الشاعر من خلالهما إنكار ما فعله الإسبان بمباركة أبيهم وقسّهم الذي يفترض أنه رجل دين يعرف جيدا عظمة العهود والمواثيق.

وفي أبيات أخرى صاغها بطريقة المساءلة، يناشد الحاكم أن يطلع على ما صارت عليه بعض القرى بساكنيها، بعد أن وقفت في وجه سياسة القمع والتنصير، يقول:

فسل (وحرا) عن أهلها كيف أصبحوا
أسارى حيارى تحت قتل ومهـُنة
وسل (بلّفيقا) عن قضية أمرها
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة

البنية التصويرية:

المتأمل في هذه القصيدة يجد الشاعر قد استعان ببعض الصور البيانية المختلفة، ليس حبا في الصنعة والزخرفة، فلا المقام يسعه ولا الحال التي هو عليها تسعفه، ولكن بغية التأثير على الحاكم كي يهب إلى نجدته، بعد أن يطلع على تلك الصور المؤلمة التي نقلها شاعرنا فأجاد.

بنية الاستعارة:

سلام على مولاي ذي المجد والعلا
ومن ألبس الكفار ثوب المذلة

في الشطر الثاني من البيت يستعير الشاعر للذل ثوبا ألبسه الحاكم أعداءه منه إلى قوة الخليفة وشدة بأسه.

بنية الكناية:

وظف الشاعر الكناية في قوله:

أحاط بهم بحر من الروم زاخر *** وبحر عميق ذو ظلام ولجة

فالبيت كله كناية عن بعد الأندلس عن بلاد الإسلام في المشرق، وتوسطها بلاد الروم التي تحيط بها من كل جهة، فضلا على البحر الذي يصعب من الوصول إليها ومد يد العون لها، كما نجد الكناية أيضا في قوله:

سلام عليكم من شيوخ تمزقت
شيوبهم بالنتف من بعد عزة

فالشيب الذي هو عادة علامة الوقار نتفه أصحابه من هول المصيبة، كالنائحة التي تمزق شعرها إذا أصابتها مصيبة الموت.

ويقول في موضع آخر في باب الكناية دائما:

ووالله ما نرضى بتبديل ديننا

ولا بالذي قالوا من أمر الثلاثة

بنية التشبيه:

وظف الشاعر التشبيه في قوله:

ومالوا علينا كالجراد بجمعهم

بجد وعزم من خيول وعدة

وقد أصاب شاعرنا في هذا التشبيه فلو شبه الإسبان بالنمل لكثرتهم لما أجاد مثل تشبيهه بالجراد، الذي به يحقق معنى الكثرة و الخراب الذي يتركه وراءه، وكذلك فعل الإسبان الذين عاثوا في الأندلس فسادا.

كما نقف على تشبيه آخر وإن كان بسيطا إلا أنه يعبر عن المأساة، ويصور كيف أحرق الإسبان قرية (أندرش) بمن فيها حتى تفحموا عن آخرهم، يقول:

وأندرش بالنار أحرق أهلها

بجامعهم صاروا جميعا كفحمة

إن الشاعر وإن لم يتفنن في انتقاء الصور البيانية التي عني بها الشعراء الفحول الذين أنجبتهم الأندلس، إلا أنه استطاع أن يوصل رسالته وصرخته من خلال تلك الصور البسيطة وتلك المشاهد الحية التي حرص على نقلها كما هي.

بنية التناص:

أ- التناص الديني:

إن المتتبع لأدب أهل الأندلس يلاحظ التأثير القرآني واضحا منذ وطئت أقدام العرب هذه الأرض، ومنذ اللحظة التي خاطب فيها القائد طارق بن زياد جنده، وما تضمنته هذه الخطبة من ألفاظ ومعانٍ قرآنية.

وقد ظل أدباءُ الأندلس ينهلون من آي القرآن الكريم، حتى سقطت آخر معاقلهم، فعلى الرغم من التضييق الذي فرضته محاكم التفتيش بقي الأندلسي وفيا لآبائه ينسج على نسجهم، مقتبسا من كتاب الله ما يخفف عليه مصيبته.

وشاعرنا الموريسكي افتتح قصيدته بالسلام، الذي ذكر في القرآن الكريم كثيرا وبصيغ مختلفة، وكذلك اختتمها بالسلام وكأننا به يحيلنا إلى قوله تعالى في سورة مريم، على لسان سيدنا عيسى عليه السلام:

«وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا».

فهو يسلم على الحاكم في البدء وفي الختام سلاما دنيويا وأخرويا.

وفي أبيات أخرى يشير الشاعر إلى نقض الإسبان عهودهم بمجرد استتباب الأمور لهم، واستسلام من كان يقاتلهم، يقول:

فقال لنا سلطانهم وكبيرهم

لكم ما شرطتم كاملا بالزيادة

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم

بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة

وخان عهودا كان قد غرنا بها

ونصّرنا كرها بعنف وسطوة

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى:

«كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ(٨)» .

وخيانة العهد من الأمور التي يأباها العربي، وتأباها كل نفس أبيّة، بل وقد حرمتها الديانات جميعها، فلا ينقض عهدا إلا خسيس النفس وضيعها، فكيف به وهو ملك إسبانيا الذي نصّب نفسه مقيما لعدالة الرب، يقول:

ومن يعط عهدا ثم يغدر بعهده

فذاك حرام الفعل في كل ملة

ولاسيما عند الملوك فإنه *** قبيح شنيع لا يجوز بوجهة

ب- التناص الأدبي:

يبدو أن شاعرنا الموريسكي لم يتأثر كثيرا بمن سبقه، ربما لأن الوقت داهمه وكتب القصيدة على عجل قبل أن تتفطن له محاكم التفتيش وعيونها المنتشرة في ربوع الأندلس المغدورة، أو ربما لأنه لم يطلع على ما كتبه السابقون بعد أن ضاعت كتب كثيرة، ويبقى احتمال أخير أن لغة الموريسكي لم تسعفه، فالتضمين يحتاج ثقافة واسعة و تمكنا من اللغة، ومع هذا فقد وقفنا على أبيات أحالتنا إلى قصيدة أبي البقاء الرندي، الذي لم يدركه، إذ سبقه في وصف المأساة بقرنين من الزمن، ذلك أن الأندلس لم تسقط مرة واحدة، بل انفرطت حبات عقدها واحدة تلو الأخرى، وفي كل مرة كان الشعراء يستنهضون الهمم، ويرسلون رسائل الاستغاثة إلى بلاد المسلمين، لكن صرختهم لم تُسمع، حتى قضت الأندلس وقضوا جميعا، يقول الموريسكي:

وآها على تلك الصوامع علقت

نواقيسهم فيها نظير الشهادة

وأبو البقاء الرندي قال قبله:

حيث المساجد قد صارت كنائس ما

فيهن إلا نواقيس وصلبان

ثم يقول:

وآها على تلك البلاد وحسنها

لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة

ومثلها قول الرندي:

على ديار من الإسلام خالية

قد أقفرت ولها بالكفر عمران

ثـم إن الشـاعر يدعو الحاكم إلى سـؤال بعض المـدن والقرى الأندلسية التي حتما ستنبئه عن أحوالها، وهو ما فعله الرندي قبله حين قال:

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأيـن شـاطـبة أم أيـن جـيان
وأيـن قـرطـبة دار العـلـوم
فكم من عالم قد سما فيها له شان

ويقول شاعرنا:

فسل (وحرا) عن أهلها كيف أصبحوا
أسـارى حـيارى تحت قـتل ومهـنة
وسـل (بلّفيـقا) عن قضـية أمـرهـا
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة

أما الفرق بين معاني الأبيات المذكورة فهو أن الرندي كان يسـأل في تحسـر عن خبر حواضر الأندلس التي اسـتحالت بلاد كفر، بينما يصف الشاعر الموريسـكي في تفجع المصير الذي انتهى إليه سـكان القرى التي رفضت سياسـة التنصيـر، وقاومت العدوان الإسباني.

وقد وجدنا بيتا للشـاعر يذكرنا ببيت الداخل، السابق الذكر، في وصفه للنخلة المنفردة في أرض الغرب حين قال:

نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

أما شاعرنا فقال:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا
بأندلـس بالغـرب فـي أرض غربـة

محاكاة الشـاعر لبيت الداخل واضحة، إلا أن الفرق بيّن شاسع، فغربة الداخل كانت حين وطئ الأندلس، وغربة شـاعرنا وقومه كانـت حين أخرجوا منها، وكأننا به يومئ إلى أن المسـلمين في الأندلس دخلوها غرباء وخرجوا منها كذلك.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

١- أثر القرآن الكريم في الشـعر العربي: محمد شهاب العاني، ط١، دار دجلة، عمان ، ٢٠٠٨ .

٢- أزهار الرياض في أخبار عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمسـاني، تح: مصطفي السقا و آخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،١٩٣٩.

٣- الأمة الأندلسـية الشـهيدة: عادل سـعيد بشـتاو، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٠.

٤- الأندلسيون المواركة: عادل سعيد بشتاوي، القاهرة، ٢٠٠١.

٥- الأندلسـيون وهجراتهـم إلى المغرب: محمـد رزوق، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،١٩٩١.

٦- البديـع تأصيـل وتجديـد: منير سـلطان، منشـأة المعارف الإسكندرية،١٩٨٦ .

٧- التـراث الأدبي الموريسـكي: هشـام بن سونسـي أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، ٢٠١٦.

٨- حركية الإيقاع في الشـعر العربي المعاصر: حسـن الغرفي، بيروت،٢٠٠١ .

٩- دولة الإسـلام في الأندلـس، نهاية الأندلـس وتاريخ العرب المتنصريـن: محمد عبد الله عنـان، ط٤، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩٧.

١٠- الشـعر العربي المعاصر: عز الدين إسـماعيل، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٦.

١١- الشـعر واللغة: لطفي عبد البديع، دار نوبار للطباعة، ط١، القاهرة، ١٩٩٧.

١٢- الاغتـراب في الشـعر الأموي: فاطمة السـويدي، مكتبة مديوني، ط١٩٩٧،١.

١٣- الغربـة والحنين في الشـعر الأندلسـي: فاطمة طحطح جامعة محمد الخامس، ط١، المغرب،١٨٧.

١٤- القصيـدة العربية الحديثة بـين البنية الدلاليـة والبنية الإيقاعية: محمد صابر عبيد، اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠١

١٥- اللغات الموريسكية وألخمية المحاكاة: محمد نجيب بن جميع، منشـورات مركز البحوث في علوم المكتبـات والمعلومات ع١٣، تونس،١٩٨٦.

١٦-المصطلح الصوتي في الدراسات العربية :عبد العزيز الصايغ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

١٧- المعتمد بن عباد شـاعر المجد والانكسار: آمنة بن منصور، دار مجدلاوي، ط١، الأردن،٢٠١٣.

١٨- من وظائف الصوت اللغوي: أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٩- الموريسكيون في الفكر التاريخي: ميلودة الحسناوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠١.

٢٠- محاكم التفتيش الغاشـمة وأساليبها: عبد الرحمن على الحجي، الكويت، ١٩٨٣.

٢١- مدخـل إلى علم الأسـلوب: شـكري محمد عيـاد،ط٢، مصر،١٩٩٢.

٢٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسـان الدين بن الخطيب: أحمد بن محمد المقري التلمسـاني، شرح و ضبط: مريم قاسم الطويل، يوسف علي الطويل،ط١، دار الكتب العلمية، لبنان،١٩٩٥.

المراجع المترجمة:

٢٣- تاريخ مسـلمي الأندلس، الموريسكيون حياة ومأساة أقلية: أنطونيو دومينقير، برنـارد بنثنت، تر: عبد العال صالح طه، ط١، دار الأشراف للطباعة والنشر، قطر، ١٩٨٨.

٢٤- الموريسـكيون الأندلسيون والمسـيحيون، المجابهة الجدلية (١٤٩٢-١٦٤٠): لـوي كارديك، تـر: عبد الجليـل التميمي، ط١، منشـورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر تونس، ١٩٩٥ .

ساعة وساعة

بقلم: محمد الرحماني المليباري

الهند- كيرالا

لا تمضي أوقاتنا إلا كما قدّرها الله. هذا ما يشعرني بالرضا وإن قضيت اليوم جله أو كله في تلبية طلبات زوجتي الكريمة. تصوروا أنها توقظني من النوم لتأمرني بجلب الماء، أو تكسير الحطب. آه من تكسير الحطب هذا، إنه بعض من (روتين) حياتي...

اليوم عزمت أن أنفق نفيس أوقاتي في شيء يستحق جهدي ووقتي الثمين. سوف أصرف ساعات للدرس ولتدبر القرآن الكريم... لن أخضع لزوجتي مهما قهرتني.

لكن ماذا أفعل؟ أعترف بضعف همتي وعزمتي أمام هذه الزوجة التي تقنعني بأن الإنسان مسير لا مخير! وأنه مسخر بقدر الله وقضائه. أحيانًا أخرج من البيت كي أبتعد من مشكلات الحياة العارضة التي تشغلني وتصرفني عن تنفيذ ما التزمت به في وقت معين.

أمس نهضت لتمضية وقت خارج البيت، ولكن قبل أن أبتعد من المنزل قابلني ذاك الأخ الصادق الذي ظل معينًا لي في حياتي الثقافية والعلمية. إني أتفاءل بهذا الأخ... أكيد أنني سأقضي معه وقتًا مفيدًا، لكن ماذا دهاه؟!

ها هو يمد لي يدًا ترجّف. إنه يطلبني برفق ولطف وعينه تفيض من الدمع أن أساعده في أزمة غشيته. كيف لا أساعده وهو الذي تعهّد أولى خطواتي الصغيرة، في طلب العلم، وحثني على القراءة والاطلاع حتى أصبحت أجيد الكتابة والخطابة.

كيف لا أقف مع هذا الأخ العزيز في المشكلات التي تواجهه والتي أنستني ما خرجت من أجله بعد مغادرة الفراش مباشرة قبل أن تداهمني الزوجة بطلباتها.

أخذت الصديق جانباً وجعلت أستمع إليه. لا شك أيها القارئ أنك تريد أن تسمع ما أفضى به ذلك الصديق إلى مسمعي. أعذرني، فإنه أمر لا يهمك كثيرًا... هكذا نحن نريد أن نلم بالتفاصيل من أسرار الناس مع أنها لا تهمنا. ألم يوصنا رسولنا الكريم بأن ندع ما لا يعنينا فقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»؟

ولم نمكث إلا ساعة قصيرة مع الصديق نتفاكر في حل مشكلته، حتى أتانا ذلك الصوت الغليظ من الشارع... إنه بائع الأثاث. زوجتي تقول عنه إنه شخص نزيه لا يغالي في السعر، وتريدني أن أشتري لها شيئاً مما يحمله الرجل، ولكني أقنعتها بأن المال القليل الذي في يدي خير أن أصرفه في شراء شيء آخر أكثر ضرورة من الأثاث. ما هو ذلك الشيء؟ لعلك أيها القارئ قد تحفزت لتعرف ما هو؟ لن أخبرك به لأنه لا يعنيك أيضاً.

لا تغضب علي أيها القارئ، فما يهمك من أمري أنني لا أملك المال الكثير الذي أشتري به ما أريد. بعض الناس يشترون الشيء ولو لم يكونوا محتاجين إليه. يشترونه فقط لإشباع شيء في نفوسهم... الشراء من أجل الشراء!

ربما لو كان لدي المال الوفير، لكنت استأجرت من يكسر الحطب أو يجلب الماء! الحقيقة لو صار عندي مال لحضر الماء إلى بيتي دون أن أسعى لجلبه، ولم يكن الحطب شيئًا من متطلباتي على الإطلاق.

مسكين أنا، لا أستطيع أن أشتري الأشياء التي أريدها. زوجتي تعلم ذلك، ولكنها مع ذلك تحثني على الشراء من بائع الأثاث.

العجيب أن زوجتي لم ترد شراء شيء في هذا اليوم، وهذا أمر خارج عن المألوف، أو ربما لديها ما يشغلها. وما يشغل زوجتي عن الشراء أمر ذو بال. تركت الرجل بائع الأثاث والتفت إلى زوجتي.

لا تغضب علي أيها القارئ أني لم أذكر لك ما الأمر؟ هذا شيء بيني وبين زوجتي، هو سر لا أكشفه حتى بين يدي ذلك الصديق الحميم الذي ما استترت عنه طوال حياتي معه، وأيّ سر أظهرته له. بل إنه كان من عاداتي السيئة أنني أكلم بأخباري الناس الذين يسكنون حولي، وهم مطلعون على أي خبر ينبغي أن يعرف عني، وإذا فاتهم شيء سألوا صديقي المشهور.

أنا لا أعرف لماذا الناس مهتمون بمعرفة كل شيء عني، فتراهم يسألون عني، مظهرين الشفقة أحياناً، غير أنهم لا يفعلون شيئاً سوى إشباع فضولهم.

هذا أذان الظهر يقرع أذني. هذا سبب قوي لأبتعد من المنزل، وأن أتدبر وقتي بعد الصلاة فيما عزمت عليه. امتلأ المسجد بالمصلين قبل وصولي، فلذا قمت عند قريب الباب على السلّم. ولما تهيأت للخروج ولبست النعل، عانقني تلميذي القادم الآن من الخليج وقد ارتسم في جسمه أثر الحياة الخليجية، ترى في وجهه نضرة النعيم، وهاهو ينقل لي أخبار الناس هناك، لم أسمع إلا منه بمرض ابن عمي وكان أيضا خارج الوطن، وقال إنه وصل قبل أسبوع ولكن ما علمت بمرضه ولا بوصوله حتى الآن.

كيف لي أن أعرف إذا كان وقتي كله مشغولا بكسر الحطب وجلب الماء؟! دعاني الصديق أن أرافقه معه لزيارة مريض آخر يتاجر معه في الخليج. ذهبنا إلى المستشفى وبقينا في زيارة المرضى.

حوادث عارضة ... تثقل برنامجك اليومي دون حساب، فتجد نفسك مع غروب الشمس لم تفعل ما كنت تخطط له. لما رجعنا من هناك وقد انتهى الوقت إلى الغروب؛ وجدت زوجتي تفتش كل مكان: المسجد والبيوت المجاورة، ولما لم تجدني، صارت تصرخ وتشتمني بأشد العبارات سوءًا.

أويت إلى الفراش، والمطر ينزل فوق سقف الغرفة ويحدث صوتًا رتيباً... وحفت الظلمة أرجاء البيت، بعد أن أغلقت الزوجة الباب.

يوم آخر ينقضي من أيام هذا الفقير البائس، دون أن يعمل شيئاً فيه فائدة لنفسه، مما كان يرجو من ذكر أو علم. طارت أفكاري إلى ساعات النهار التي مضت بما انفسخت من عزماتي. وسمعت صوتًا في الريح خارجاً كأنه يردد قول الله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون».

من عجائب المجتمع التونسي:

الفلاحون يقتصرون على تربية ذكور الماشية... فقط!

الأستاذ الدكتور محمود الذوادي

عالم الاجتماع في جامعة تونس

طبيعة الأعراف

تقتضي الأعراف وطبيعة الأشياء أن يُربي الناس الذكرَ والأنثى من الماشية جنباً إلى جنب. ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال أن يتساوى عدد الإناث مع عدد الذكور، وإنما يعني أن يوجد الذكور والإناث بنسب معقولة تسمح بالتناسل الذي يضمن الاستمرار والتوازن بين الجنسين. أما أن لا يربي السكان إطلاقاً إناث الحمير والبغال والخيول، فإن ذلك يدعو إلى فضول إنساني متشوق، وإلى تساؤل معرفي وعلمي مشروع. تسود هذه الظاهرة الغريبة العجيبة (حظر تربية الماشية الأنثى) في مناطق محدّدة في شرق شمال البلاد التونسية. وقد كشفنا الحجاب عن هذه الظاهرة بعد القيام باستطلاع لسكان مدينة رأس الجبل وقرى غار الملح ورفراف وصونين والماتلين والعالية المجاورة من ولاية بنزرت. ولعل هذه الظاهرة موجودة أيضا في مناطق أخرى في بيئة البلدان العربية وغيرها.

ما وراء العَجب العُجاب

تفيد استجواباتنا لعينة الفلاحين بإن هناك سببين رئيسيين يقفان وراء حظر تربية إناث الماشية في هذه المنطقة من القطر التونسي. الأول، ضيق المناطق الزراعية التي لا تتحمل تربية الإناث لقدرتها على التوالد ومن ثمّ زيادة عدد الماشية. والثاني، الاعتقاد بأن القوة العضلية لذكور البغال والخيول والحمير تستجيب أكثر لمتطلبات تلك المناطق التي تكثر فيها الجبال والتلال والهضاب.

فضيق البيئة يفسر جزئيا هذه الظاهرة. فمن جهة، ستؤدي تربية الإناث من خيول وحمير وبقر ومعز وغنم إلى اكتظاظ حيواني شبه مؤكد في تلك المناطق الضيقة جداً من حيث المساحة والخالية من السهول. وتتطلب تربية صغار المواشي الوليدة شهوراً وربما أعواماً قبل إمكان التخلص منها ببيعها بأثمان ربحية. ومنه، يصبح من الصعب على الموارد المحدودة في هذه البيئة الفلاحية الصغيرة المساحة أن تتحملها.ومن جهة ثانية، يحتاج تنقل الفلاحين صعوداً ونزولاً في الجبال والهضاب والتلال إلى دواب تتمتع بقوة عضلية أكبر. وذكور الدواب تتفوق عموماً على إناثها في هذا المجال، علماً أن تنقل الفلاحين لا يقتصر في هذه المناطق على مجرد ركوبها بل يشمل في معظم الأحيان وضع أحمال ثقيلة عليها.

وعلى رغم ما في هذين العاملين من واقعية ومنطق، فإن رؤية العلوم الاجتماعية لا تلغي احتمال وجود مؤثرات أخرى. ويمكن طرح فرضية العامل الثقافي كسبب رئيسي أو مساهم في انتشار هذه الظاهرة الغريبة. فهل هناك مثلاً عقائد دينية وقيم ثقافية لدى سكان هذه الجهة عملت على «حظر» تربية إناث الماشية؟ يعتنق جميع سكان هذه المنطقة الإسلام. وليس في الإسلام ما يدعو إلى تحريم تربية إناث الماشية، بل تحفل الآيات القرآنية بالحديث عن حكمة الله في خلق الذكر والأنثى في كل أنواع المخلوقات: «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» (يس: ٣٦)، «إنه خلق الزوجين الذكر والأنثى» (النجم: ٤٥)، «فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» (القيامة: ٣٩)، «قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين» (هود: ٤٠). أما على مستوى القيم الثقافية غير الدينية، فلا يوجد ما يشير إلى أن السكان هنا في المنطقة بقيم حضارية قديمة عرفها

القطر التونسي قبل الفتح الإسلامي. فالشخصية العامة لهؤلاء السكان هي شخصية منصهرة تمام الانصهار، مثل بقية التونسيين العرب والبربر، في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية.

وهكذا، يبدو أن ضيق مساحات الأراضي، وقلة مواردها الطبيعية الصالحة لتربية عدد أكبر من الماشية، وصعوبة التنقل بين جبالها وهضابها وتلالها، هي العوامل الحاسمة التي أدت إلى الاقتصار على تربية الماشية الذكور. ومن ثم ظهرت قيم ثقافية لدى السكان تنظر إلى تربية الإناث بنظرة تغلب عليها السلبية الكبيرة القاسية. فالأمر يتعلق هنا بنوع من الحتمية الإيكولوجية الشديدة التأثير في القيم الثقافية لهؤلاء السكان.

ثقافة مناهضة لتربية الماشية الأنثى

لقد أصبحت تربية إناث الماشية، خاصة من البغال والخيول والحمير، تعد ضرباً من السلوك المنحرف. وبتعبير علم الاجتماع، فاستمرار ممارسة هذا السلوك من طرف السكان لعهود طويلة جعل تربية ماشية الذكور المعيار الاجتماعي المقبول والمرحب به من طرف الجميع في هذه المنطقة. ومنه، برزت مواقف وتصورات مزدوجة. فمن ناحية، أصبحت تربية إناث الماشية تجلب لصاحبها وصمة العار، وهذا ما ذكرته طالبة من قرية صونين شاركت في الاستطلاع، قالت إن أهل قريتها ينظرون بشيء من الاشمئزاز إلى أصدقائهم الفلاحين في منطقة أتيك الزراعية المجاورة حيث تربى إناث الماشية إلى جانب ذكورها. فيمكن القول من منظور علم الاجتماع إن هذه المنطقة التونسية هي بيئة تسود فيها ثقافة عار تربية أنثى الماشية.ومن ناحية ثانية، أصبحت تربية ماشية الذكور مفخرة عند سكان تلك المنطقة. ولعل تربية الحمير تفصح أكثر من غيرها من الحيوانات عن معاني الذكورة، فالحمار يُعرف بنهيقه أولاً وقبل كل شيء، ويتميز بجلاء عن نهيق الأتان التي لا يكاد يكون لها أي نهيق. لذلك أصبح نهيق الحمار في هذا الفضاء الثقافي الذكوري مصدراً لشعور صاحبه بالافتخار، لا يضاهيه في ذلك البغل ولا الحصان. وهذا ما تذكره القصص والأقاويل عما يوحي به نهيق الحمار بالنسبة لأبناء قرية رفراف، مثلاً. فالنهيق يُعتبَر الصوت المفصح بعزة لصاحبه عن سلطة الذكر في عالم الماشية وفي محيطه الاجتماعي الصغير الذي ولد وشبّ وكبر فيه.

إن الوضع السابق الذِكْر جعل تربية الأنثى من تلك الحيوانات عند سكان تلك المنطقة وصمة عار اجتماعي كبير لا يجوز القبول بها على الإطلاق. وأدت قوة رسوخ ثقافة العار هذه وانتشارها الكامل بين السكان إلى تحاشي تسمية حتى العناصر الجامدة تسمية أنثى. فأهل مدينة رأس الجبل والقرى المجاورة يذكّرون مؤنث «الكميونة لتصبح عندهم «كميون»، أي مسمى ذكوري! يفسر هذا الموقف الشديد السلبية من تربية أنثى الماشية أيضا امتناع سكان هذه المنطقة عن تربية (البغلة) رغم أنها لا تلد وبالتالي لا تمثل خطرا على زيادة المواشي في هذه البيئة الضيقة. ونتيجة لذلك، فذِكْرُ ماشية الأنثى أمامهم أو الحديث معهم عنها أو مساءلتهم إن كانوا يملكونها يثير ردود فعل سلبية متنوعة تتراوح بين الشعور بالخجل والغضب العنيف. فقوة ثقافة عدم تربية الماشية الأنثى تجعلهم قادرين بالكامل على المحافظة على هذا العرف رغم أنه يصطدم في وضح النهار مع العرف العام السائد الذي يشجع تربية الإناث والذكور من الماشية بالقطر التونسي.

عرض تحليلي لكتاب عبد الله زروق

قضايا في فلسفة وعلم الأخلاق

بقلم: الدكتور عبدالقادر الشيخلي

مستشار في رابطة العالم الإسلامي

هذا كتاب علمي قيِّم، من تأليف الأستاذ الدكتور عبدالله حسن زروق، الأستاذ في قسم الفلسفة في جامعة الخرطوم، ويقع في خمسمائة وإحدى وثلاثين صفحة، ويتألف من ستة أبواب مستقلة.

جاء الأول منها بعنوان أهمية الأخلاق، ومهدداتها وتعريفها، تناوله في ثلاثة فصول عرضت أهمية الأخلاق ومهدداتها، وأصل لفظ الأخلاق وأخيراً طرق دراسة الأخلاق، والتعريف بها، وبفروعها، وبأقسامها. وجاء الباب الثاني بعنوان نشأة الأخلاق وتعريفها، عرض في ثلاثة فصول تناولت نشأة الأخلاق، والأخلاق اليونانية، والأخلاق المسيحية، والأخلاق الإسلامية، والأخلاق الحديثة والمُعاصرة، والأخلاق المجتمعية، والأخلاق المؤسسة على الحقوق.

وعرض الباحث في الباب الثالث نظريات أخلاقية في أربعة فصول هي: نظرية الفضائل الخلقية، ونظرية الأخلاق المؤسسة على الحالة المُعينة وأخلاق العناية، والأخلاق المجتمعية، والأخلاق المؤسسة على الحقوق، ونظرية الأوامر الإلهية، ونظريات أخرى.

أما الباب الرابع فقد جاء بعنوان الأخلاق والعلوم والمعارف، تناولها الباحث في ستة فصول هي: الأخلاق والدين، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتربية، والاقتصاد، والقانون، والسياسة، والعلم، والتكنولوجيا، والفنون، والآداب.

وفي الباب الخامس تناول الأخلاق العملية، وأقسامها، وذلك في اثني عشر فصلاً، عرض في الفصل الأول النظر والعمل في الحياة وفي الفلسفة، ففي النظر هناك علم الأخلاق الوصفي، وعلم الأخلاق المعياري، وعلم الأخلاق التحليلي، ووضع الباحث الخبرة العملية مقابل النظر، وناقش الرأي القائل بتقديم العمل على النظر، وفضل العلم ووجوبه، وفضل العمل ووجوبه ، كما تناول الفجوة ما بين الاعتقاد والمعرفة والعمل، أي بين النظرية والتطبيق، وهو أمر دفعه لعرض الدوافع غير العقلانية مثل خداع النفس، والعنا، والجحود، والإقصاء، والحسد، والكبرياء، والكراهية، والنفاق، والغضب، والرياء، والطمع، والخوف، والتعصب، والغيرة، والأنانية ... إلخ.

وفي الفصل الثاني تناول أخلاق المهنة، والعمل، والهندسة، وتكنولوجيا المعلومات، وشرح العلاقات بين هذه العناصر.

وفي الفصل الثالث عرض أخلاق الطب التي تتطلب فهم المرجعيات ولجان الإفتاء، وهيئات المراجعة، ودور الطبيب ووظيفته، باعتباره معالجاً وداعية وصاحب رسالة إنسانية، كما عرض الآفات التي قد تصيب الطبيب وهو يمارس مهنته، كالإهمال، وكشف أسرار المريض، وخدمة السلطة، والضرر بالمواطنين، وجمع المال بطريقة غير مشروعة، وعدم تطوير معارفه، وحب الشُهرة، ومن ثم يجب أن يعرف الطبيب مسؤولياته ودوره في مسائل مهمة كالإجهاض، والتلقيح الصناعي، والقتل للرحمة، والاستنساخ، وزراعة الأعضاء، وبيعها، وجراحة التجميل، وتحديد النسل، والرحم المُستعار، والتحكم في صفات الجنين، وزواج المُصاب بالإيدز، والإنعاش الصناعي، وبنك المَنِي، والأخطاء الطبية، والكشف على المريض ذكراً أو أنثى، ونوع الدواء وجواز التطبيب به، والهندسة الجينية، واستخدام الخلايا الجذعية، والتحكم في نوع المولود، ونقل أعضاء من الحي ومن الميت، وإجراء الفحص الطبي قبل الزواج، وإجراء التجارب على الحيوان والإنسان، وتوزيع الموارد الصحية على خدماتها المختلفة، وحق المريض في العلاج المناسب، وأي قضية قد تستجد في المجال الطبي.

وفي الفصل الرابع تناول أخلاق الإعلام، من خلال بيان أهدافه، وقيمه، وفضائله، كما ناقش فكرة السيطرة على الإعلام، وعلاقة الإعلام بالمثقف.

وجاء الفصل الخامس من هذا الكتاب القيّم بعنوان الأخلاق العالمية وحقوق الإنسان والهوية، تناول فيه الباحث الأخلاق العالمية والمتغيرات العالمية، وبخاصة الكوزموبوليتية، وهي عبارة عن أفراد من بلدان مختلفة ليس لديهم تحيز قومي ويميلون إلى أن العالم كله وطن لهم، ويعرض الباحث في هذا الفصل الرؤية الليبرالية الدولية، والتعددية الديمقراطية، وعالمية الإسلام، ويقترح أن تعتمد مبادئ الأخلاق العالمية على مبدأ العدالة، ومبدأ الاعتراف بالاختلاف بين البشر، والاعتراف بالخصوصيات العامة في اللغة واللون، وضمان حرية الدعوة ، ودفع الاعتداء عن المسلمين،

والحض على التعارف والحوار بين الحضارات، والحض على عمل الخير، والدعوة إلى دفع الظلم، والدعوة إلى تحقيق أفضل نوعية من الحياة، والنهي عن الفساد، وشرح باستفاضة التعددية من حيث نشأتها، وبخاصة التعددية الدينية، وسمات المجتمع الذي يسوده السلم، والتنمية المتوازية والمستدامة، وفض النزاعات، ومعالجة أسباب الحروب، وأهمية حقوق الإنسان، واقتراح منظور إسلامي لحقوق الإنسان من حيث الإطار المعرفي لحقوق الإنسان في الإسلام، وهذه الحقوق هي حق المسلم على المسلم، وحق النفس، وحق الأقارب، وحق الطريق، وحقوق غير المسلمين، وحقوق الوالدين، وحقوق الزوج والزوجة والأبناء والأجير والحيوان، وبيان أسباب الحروب.

وفي الفصل السادس بيّن الخصائص المتميزة لحقوق الإنسان في الإسلام. وجاء الفصل السابع بعنوان التعذيب وهو عمل يُحدث ألماً جسدياً أو نفسياً يُقصد إقرار المُعذّب واعترافه بأنه قام بعمل ما، أو يقصد به الحصول منه على معلومات، أو ترويع وتخويف الآخرين. ومن أبرز الأساليب التي مارستها وكالة الاستخبارات الأمريكية ضد سجناء جوانتانامو بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م: الإيهام بالغرق، والضرب، والصعق الكهربائي، والحرمان من النوم، والتهديد بالاعتداءات الجنسية، وخفض درجة الحرارة في الزنازين، وتعريض السجناء لحمامات مليئة بالماء المثلَّج، وإجبار السجناء على المشي عُراة، وإجبارهم على لبس حفاظات، ومنعهم لفترات طويلة من الذهاب إلى دورات المياه بقصد إذلالهم، ووضعهم داخل مكان مليء بالحشرات كالبعوض والديدان، والحرق بالمواد الحساسة بالجسم. وتناول الباحث في الفصل الثامن الهوية باعتبارها من مشكلات العصر البارزة، وتطرق إلى أحادية الهوية وتعددها، والإثنية والمواطنة. وفي الفصل التاسع من هذا الباب تناول الباحث الحرب الأخلاقية التي يجب أن تكون عادلة ومبرراتها مقبولة ككونها دفاعاً عن النفس مثلاً وأن تُشن من قبل سلطة الدولة، وليس الأفراد أو الجماعات، وأن تكون الوسائل المستخدمة فيها مشروعة، وتحقق ضرراً أقل، وأن لا يُقتل غير المُقاتل، وأن يكون هناك ميثاق لإعلان الحرب وأخلاقياتها، ويجب معالجة المفاسد الناجمة عن الحرب.

وفي الفصل العاشر الذي جاء بعنوان الإرهاب باعتباره قتل غير المحاربين لتحقيق أغراض سياسية أو إحداث فزع وخوف في المجتمع وزعزعة الشعور بالأمن، تناول الباحث أسباب الإرهاب، وكيف يمكن أن نمنعه؟ وتناول الباحث في الفصل الحادي عشر الحرب من منظور إسلامي ودواعيها ومبرراتها والعلاقة بين المسلمين وغيرهم، وحظر الإسلام قتل غير المقاتلين أو التمثيل بجثثهم، ومعاملة الأسرى معاملة كريمة. وفي الفصل الثاني عشر الذي جاء بعنوان أخلاق التعامل مع الحيوان والبيئة، والحدود التي تُبيِّن استخدام الحيوان والانتفاع به، وكيفية معاملته معاملة طيبة، كما تناول الباحث الكريم أخلاق البيئة ومظاهر فسادها وأسباب هذا الفساد والمنظور الإسلامي لأخلاق البيئة.

وأخيرًا في الباب السادس الذي جاء بعنوان: مفاهيم أساسية في الأخلاق، وقد توزع على أربعة فصول: تناول الفصل الأول السعادة من منظور إسلامي، بيّن فيه الباحث علاقة مباشرة بين السعادة والصحة النفسية، والاقتصاد، والقانون، والسياسة، وقد تطرق إلى مفهوم أرسطو للسعادة الذي عد السعادة الغاية القصوى للإنسان، وأنها مطلوبة لذاتها لا لشيء آخر، وأنها تحوي الخير الأقصى، وجديرة بالاختيار، أما ابن مسكويه فقد اعتبر السعادة أفضل خير، وهي تمام الخيرات وتحتاج إلى أشياء في البدن وخارج البدن، وذكر مسكويه ثلاث مراتب للسعادة هي: مرتبة يُلبي فيها الإنسان رغبات البدن والحس ولكن باعتدال، ومرتبة لا يكثر فيها برغبات الجسد، وشهوات النفس إلا بما تدعو إليه الضرورة، وأخيراً المرتبة العُليا: مرتبة الفضيلة الإلهية المحضة التي لا يطلب فيها حظاً من حظوظ الإنسان، ولا ما تدعو إليه الضرورة، فتكون أفعال الإنسان كلها أفعال إلهية، وخيرٌ محض. كما تناول الباحث مفهوم السعادة في فلسفة بنتام ومل وعرّف السعادة في مفهومها وناقش موضوع معايير السعادة هل هي موضوعية أم ذاتية، وعرض مقومات السعادة وأسبابها وهي: الحياة الاقتصادية التي تحقق الضروريات والكماليات، والعلاقة الزوجية المبنية على المودة والرحمة، والصداقة والإخاء، والسيرة الحسنة بين الناس، والرضى في العمل، وهناك دور للجماعة والدولة في سعادة الفرد، وناقش الباحث الكريم المعتقدات الخاطئة عن السعادة كالعلاقة بين المال والسعادة.

وفي الفصل الثاني تناول الباحث الكريم العدالة والحرية من الناحية النظرية، ومن منظورهما الأخلاقي، وجاء الفصل الثالث بعنوان النسبية والمسؤولية، ولماذا نلتزم بالأخلاق؟ إذ حلل نسبية عدم ثبات المعرفة، والنسبية المعيارية، والنسبية الأخلاقية، والنسبية من منظور إسلامي، أما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان الحياة الخيّرة ذات النوعية الجيدة سواء من الناحية النظرية أو منظورها الإسلامي، وكذلك من المنظور الغربي، وقد تناول الباحث الكريم نموذج الحياة الخيرة في الإسلام ويقوم على البُعد العقدي (العقيدة الإسلامية)، والبُعد الروحي والعبادي، والبُعد الاقتصادي، والتنمية المُستدامة، والمكوّن السياسي، والمكوّن الاجتماعي، مستعرضاً ذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وآراء العلماء والفقهاء.

واختتم الأستاذ الدكتور عبدالله حسن زروق كتابه المتميز بقائمة للمصادر والمراجع العربية التي بلغت مائة وسبعة وسبعين مصدراً ومرجعاً، كما اختتم الباحث كتابه الرائع بمصادر ومراجع في اللغة الإنجليزية بلغت مائة وستة وأربعين مصدراً ومرجعاً.

صفوة القول في هذا الشأن إن كتاب «قضايا في فلسفة وعلم الأخلاق» عبارة عن موسوعة في فلسفة الأخلاق وفي علم الأخلاق، سواء في جوانبها النظرية أو العملية، وسواءً في منظورهما الغربي أو منظورهما الإسلامي، فجاء الكتاب جامعاً مانعاً لا يستغني عنه أي مثقف أو قارئ ملتزم يبحث في هذه الفلسفة وهذا العلم.

تحية من البرازيل

بقلم: الشيخ الصادق العثماني

خطوات شجاعة يخطوها الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى على درب الإصلاح والتحديث والتجديد في كثير من القضايا الإسلامية المعاصرة، وخاصة المتعلقة بالإسلام والغرب.

لقد تابعت الجاليات المسلمة هذه الجولات الموفقة في أمريكا وآسيا وأخيرا في إيطاليا، وكذلك نتائج المؤتمرات الفكرية التي تصب في نقطة أساسية وجوهرية ألا وهي التعايش ونبذ العنف بين الديانات والحضارات الإنسانية، والعيش المشترك في أمان وسلام على أرض الله الواسعة، وهذا من صميم مقاصد ديننا الإسلامي المنصوص عليها في قرآننا الكريم «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا»

وتابع المسلمون في أنحاء العالم بكثير من الرضا لقاء معاليه مع البابا فرانشيسكو، بابا الفاتيكان.

وقد كان موضع اهتمام ومناقشات المسلمين في دول الأقليات ما تحدث به معالي الأمين العام في كثير من لقاءاته، ومن ذلك تعزيز الاندماج الإيجابي للجاليات المسلمة في مجتمعاتها واحترام ميثاق المواطنة الذي قبلت به والتزمته. هذه الرسائل التوعوية في المؤتمرات والندوات واللقاءات التي تعقدها الرابطة في جميع دول العالم تمثل خارطة طريق للعمل الدعوي والإسلامي في تلك البلاد. وهي رسائل تؤكد أن الإسلام دين الصدق والوفاء وأن طليعة أسباب احترامه وتقديره وتفهمه هو قيمه الحقيقية المتمثلةُ في التسامح والتعايش ونشر السلام والمحبة والوئام والمواجهة الفكرية لنظريات الشر والكراهية، بما يبطلها ويفكك مزاعمها ، وهي المبنية على الزيف والتضليل والمقابلة بالشجب والرفض الكامل من جميع المسلمين.

إن الجاليات والأقليات الإسلامية في العالم تتطلع إلى رابطة العالم الإسلامي اليوم وخاصة بعد تعيين أمينها العام معالي الدكتور محمد العيسى للمزيد من العطاءات، وللمزيد كذلك من الاهتمام بها وبهمومها وبمشاكلها والمخاطر المحدقة بها، ومنها الفكر الإرهابي العابر للقارات، الذي أصبح يقلق العالم اليوم.

لا شك أن هذا الأمر موضع اهتمام مشترك مع جاليتنا في البرازيل، وفي هذا السياق صرح لنا الشيخ خالد رزق تقي الدين السكرتير العام للمجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل قائلاً:

إن رابطة العالم الإسلامي مؤسسة عريقة حملت على كاهلها الدفاع عن المسلمين وبيان صورة الإسلام السمحاء، ودعت وترأست الكثير من المؤتمرات والمناسبات التي تكرس مبادئ الأخلاق والتعايش والاحترام بين الأديان المختلفة ، والتعايش السلمي للجاليات المسلمة في الغرب.

وثمن الشيخ خالد جهود الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، وسعيه للقاء القيادات المسيحية ، وإقامة المؤتمرات في أمريكا وغيرها من البلدان، بما يخدم مصلحة البشرية بشكل عام.

مسجد الرفاعي
ومسجد السلطان حسن بالقاهرة